تفسير
سورة الحشر

شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم

WWW.AL-HAKIM.COM

تفسير

سورة الحشر

تفسير
سورة الحشر

شهيد المحراب

آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

اسم الكتاب:..... تفسير سورة الحشر
الناشر: .....مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره
المطبعة:..... العترة الطاهرة
الطبعة:.....الأولى
العدد:.....٥٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

النجف الاشرف
شتاء سنة ٢٠٠٧م

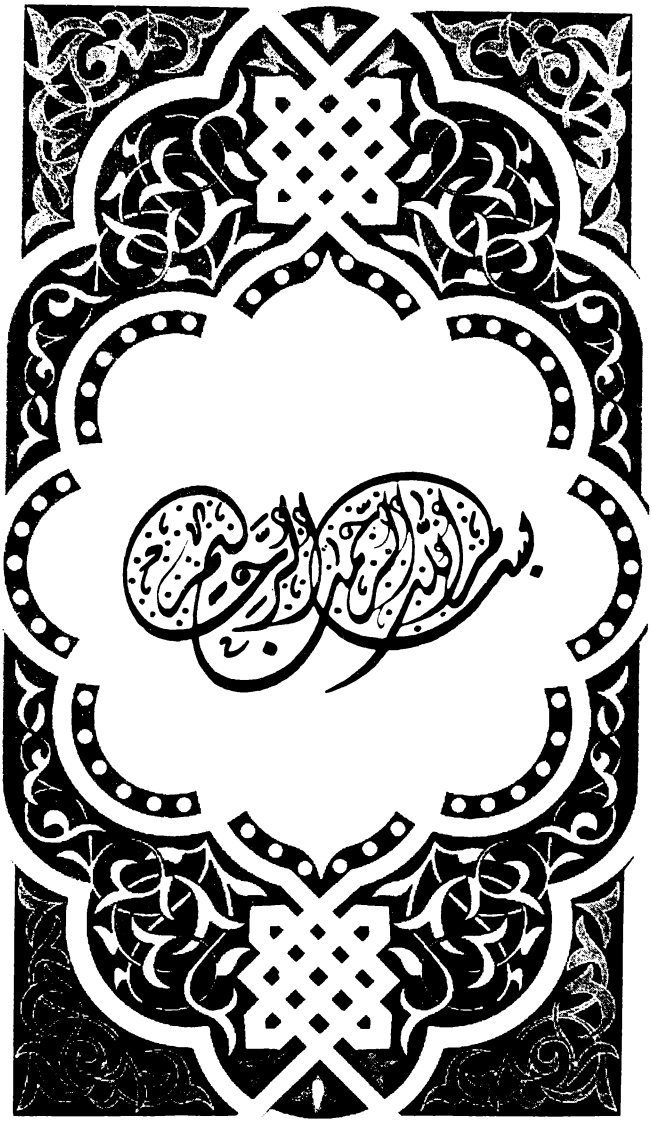
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم تسليم على الرسول الأمين أبي القاسم محمد وعلى آله الميامين.

القرآن الكريم، المعجزة الخالدة بلغتها من مفردات وتعابير، وبأسلوبها من إنذار وتبشير وإجمال وتفصيل، وبمفاهيمها من شمولية ودقة.

القرآن الكريم هذا الكتاب الذي يحوي كل ما تحتاجه البشرية، بل وحتى ما تفكر به في مستقبلها لتخدم به الأجيال المستقبلة، فهو كتاب لا يغادر صغيرة لها أدنى ارتباط في وصول الإنسان إلى بغيته، وكماله الحقيقي المنشود سواء على مستوى الفرد أم المجتمع، إلا وأرشدنا إليها ودلنا عليها بمفردة ضمت بين ثناياها معان جمة جليلة أو بقصة تبحث عن أعماق النفوس لتغور فيها أو بمثل يكشف عن حقيقة اجتماعية أو سنّة كونية تحكم المجتمع أو الطبيعة، الأمر الذي قاد الكثيرين من أهل الفكر والفضل إلى محاولة سبر أغواره وكشف معانيه، ولكن أنّى لهم ذلك فهو بحر مترامي الإطراف متلاطم الأمواج، لا يبلغ جواهره ودرره إلا من علّمه الله من علمه الرصين، وليس هم إلا الرسول المصطفى ووصيه المرتضى والأئمة النجباء، أو من أخذ عنهم عليهم السلام كالسيد شهيد المحراب قدس سره الذي طرق باب علمهم في مواضع عدة قد أحتل القرآن الكريم وعلومه المتنوعة والمتعددة المرتبة الأولى من بينها، ويمثّل علم التفسير أبرزها، إذ دخله من أوسع أبوابه إيماناً منه بالحاجة الملحة والماسّة لدى المجتمع لفهم آي القرآن المجيد ومضامينه العالية وفق رؤية جديدة كفيلة بإيصال تلك المضامين واضحة بيّنة سلسة، تتناغم وتنسجم مع السلوك الفردي والاجتماعي للإنسان في الحياة، فتصححه وتنقيه عبر رؤية صحيحة للكون والحياة، حتى يكون عمله ضمن أيدلوجية إسلامية سليمة توصله إلى الكمال في الدنيا والثواب الجزيل في

الآخرة، وبمنهجية أتسمت بالموضوعية من جهة، وبالجنبة العملية من جهة أخرى متوسلاً بعوامل التحليل النفسي والعلمي.

وهذا ما نلاحظه في دروسه التفسيرية لهذه السورة الشريفة التي ألقاها سماحته على عدد من فضلاء الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، ولّما كانت على مستوى عالٍ من البحث العلمي ـ تتكشف عن طريقه بعض جوانب شخصيته العلمية ـ والعملي.

ونظراً لأهمية تلك الدروس وحاجة المجتمع الإسلامي لمحتواها، قامت مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ﷺ بإنزالها على الورق وفهرستها ومن ثم تحقيقها وإخراجها في كتاب. وقد كانت للشيخ محمد الحلفي بإشراف السيد محمود الحكيم جهود مباركة، ودور مهم في إخراج هذا النتاج العلمي الثر.

نسأله تعالى أن يكون عملنا هذا حسنة مضاعفة في ميزان أعمال الشهيد الحكيم ﷺ وذخراً لكل الجهود التي بذلت في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾.

دائرة التأليف والتحقيق

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ﷺ

تفسير سورة الحشر

لمحة سريعة حول السورة

تعتبر سورة الحشر من القسم المفصّل[١] من سور القرآن الكريم، ولما كانت تبدأ بتسبيح الله سبحانه وتعالى، عُدّت من المسبحات.

ويدور حديثها حول مجموعة من القضايا، نأتي عليها تباعاً إنشاء الله، ولكن قبل الدخول في ذلك تحسن الإشارة إلى بعض الأمور والقضايا المرتبطة بها بشكل عام.

سبب التسمية

لقد عُرفت هذه السورة بـ(سورة الحشر) والظاهر أن هذه التسمية؛ إنما كانت بلحاظ ما ذكر في بدايتها من إخراج طائفة من اليهود، كانوا يعيشون أطراف المدينة، وهم بنو النضير، حيث عبّر القرآن الكريم عن عملية إخراجهم هذه بالحشر: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ فكان التعبير عن إخراجهم بأول الحشر سبباً لانتزاع هذا الاسم، وقد تقدم في تفسير سور سابقة أن هذا أسلوب من أساليب التسمية[٢]، حيث إن التسمية في كثير من السور: إما أن تكون باعتبار وجود كلمة في داخل السورة، كهذه السورة، وسورة الصف، وسورة الجمعة، أو باعتبار الإشارة إلى قصة فيها ذات طبيعة خاصة، كما في سورة البقرة.

ووقع الكلام بين المفسرين في أن هذه التسميات هل هي تسميات إلهية، أي نزلت من الله سبحانه وتعالى، أو أنها تسميات نبوية بمعنى أن النبي ﷺ هو من أطلق على السور هذه الأسماء، أو أنها تسميات جاءت نتيجة تداول المسلمين لها؟

---

(١) راجع تفسير سورة الصف.

(٢) راجع تفسير سورة الصف.

ولعل الثاني هو الأصح[١]، فهذه التسميات ليست تسميات توقيفية؛ وإنما كان النبي ﷺ يشير إليها بطريقة ما، ولذا نجد تعدد أسماء بعضها، كما هو الحال في هذه السورة، حيث ذكر في تسميتها أنها تسمى سورة بني النضير[٢]، باعتبار ما ورد فيها من إخراج بني النضير من المدينة المنورة.

فضل السورة وآثارها

تناولت عدة روايات مذكورة في كتب التفسير والحديث فضل سورة الحشر، وذكرت مجموعة من فضائلها وخصائصها، يمكن تلخيصها في الأمور التالية:

أولاً: من يقرأ سورة الحشر يكون محلاً للصلاة والتسليم من قبل كل موجودات الكون، حيث ذكرت بعض الروايات: أن كل موجودات هذا الكون من السماء والأرض، والإنس والجن، والأشجار والأحجار يصلون ويسلمون على قارئها؛ لجلالها عند الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: من يقرأها بقصد قضاء حاجة، يتفضل الله سبحانه وتعالى عليه بقضائها، وهكذا من يقرأها بقصد دفع البلاء، فسيكفيه الله عزّ وجل دفعه عنه، وهذا من الآثار الوضعية لها.

ثالثاً: أن القارئ لها ينال مستويات روحية ومعنوية، تؤثر في وضعه الروحي والمعنوي حتى يصبح في عداد حزب الله، ومصيره مصير الشهداء والصالحين.

فقد ذكر الصدوق رحمه الله، بإسناده عن أُبي بن كعب عن النبي ﷺ، أنه قال:

---

(١) اختار العلامة الطباطبائي تعيينية كثير من أسماء السور نتيجة كثرة الاستعمال في كتابة القرآن في الإسلام: ١٥٤.

(٢) كما حكاه ابن كثير عن ابن عباس في تفسيره ٤: ٣٥٣.

((من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب والسموات السبع والأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات في يومه أو ليلته مات شهيدا))[١] ويرويها أيضاً الطبرسي في مجمع البيان[٢]، والعلامة البحراني في تفسير البرهان، والشيخ الحويزي في نور الثقلين[٣]، والعلامة المجلسي في البحار[٤].

وروي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ((من قال بكرة أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكّل الله عليه سبعة الآف من الملائكة، يحافظون ويصلون عليه إلى الليل، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا))[٥].

وفي رواية أخرى: ((من قرأ هذه السورة في ليلة الجمعة، أمن من البلاء حتى يصبح، ومن صلى أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة سورة الحمد وسورة الحشر، ويتوجه إلى أي حاجة شاءها وطلبها يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى في قضائها، قضاها الله سبحانه وتعالى ما لم تكن تلك الحاجة

---

(١) ثواب الأعمال:١١٧ ــ ١١٨.

(٢) مجمع البيان ٩: ٤٢٣، باختلاف يسير، إذ جاء فيه: ((ومن قرأ سورة الحشر، لم يبق جنة ولا نار، ولا عرش ولا كرسي، ولا حجاب، ولا السماوات السبع ولا الارضون السبع، والهوام، والرياح، والطير، والشجر، والدواب، والشمس، والقمر، والملائكة، إلا صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا)).

(٣) نور الثقلين ٥: ٢٧١،ح١.

(٤) بحار الانوار٨٩: ٣٠٨،ح١. باختلاف في آخرها، فجاء فيه: (وإن مات في يومه أو ليلته كان شهيدا).

(٥) بحار الأنوار ٨٩: ٣٠٨، ح٢.

معصية لله سبحانه وتعالى))[١]

ونقل البحراني في تفسير البرهان[٢] عن النبي ﷺ، أنه قال: **((من قرأ هذه السورة كان من حزب الله المفلحين)).**

سبب النزول

تسالم المفسرون على أن سورة الحشر نزلت في إخراج بني النضير[٣] الذين هم أحد بطون اليهود المجاورين للمدينة المنورة[٤]، حيث كان يجاورها

---

(١) جامع الأخبار:

(٢) تفسير البرهان:

(٣) وهناك قول نادر للحسن: أنهم بنو قريظة. وردّ بأن بني قريضة ما حشروا ولا أجلوا وإنما قتلوا.

(٤) ذكرت بعض كتب التاريخ والسير وجهين في قدوم اليهود إلى المدينة، هما:

الأول: كان سبب نزول اليهود بالمدينة وأعراضها أن موسى بن عمران عليه السلام بعث إلى الكنعانيين حين أظهره الله تعالى على فرعون، فوطئ الشام وأهلك من كان بها منهم، ثم بعث بعثا آخر إلى الحجاز إلى العماليق، وأمرهم أن لا يستبقوا أحدا ممن بلغ الحلم إلا من دخل في دينه، فقدموا عليهم فقاتلوهم فأظهرهم الله عليهم فقتلوهم وقتلوا ملكهم الأرقم، وأسروا ابنا له شابا جميلا كأحسن من رأى في زمانه، فضنّوا به عن القتل، وقالوا: نستحييه حتى نقدم به على موسى، فيرى فيه رأيه، فأقبلوا وهو معهم، وقبض الله موسى قبل قدومهم، فلما قربوا وسمع بنو إسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم، فأخبروهم بما فتح الله عليهم، قالوا: فما هذا الفتى الذي معكم؟ فأخبروهم بقصته، فقالوا: إن هذه معصية منكم لمخالفتكم أمر نبيكم، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبدا، فحالوا بينهم وبين الشام، فقال ذلك الجيش: ما بلد إذ مُنعتم بلدكم خير لكم من البلد الذي فتحتموه وقتلتم أهله فارجعوا إليه، فعادوا إليها، فأقاموا بها.

فهذا كان أول سكنى اليهود الحجاز والمدينة، ثم لحق بهم بعد ذلك بنو الكاهن بن هارون عليه السلام، فكانت لهم الأموال والضياع بالسافلة، والسافلة ما كان في أسفل المدينة إلى أحد.

الثاني: علماؤهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي ﷺ، وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين

⇦

من اليهود ثلاثة بطون، هي:

البطن الأول: بنو النضير.

البطن الثاني: بنو قريضة.

البطن الثالث: بنو قينقاع.

وأخرجت هذه البطون الثلاثة من المدينة المنورة بوقائع، بسبب نقضهم للعهود والمواثيق التي أخذها النبي ﷺ عليهم، حيث إنه ﷺ قام بعملين رئيسيين في أول دخوله للمدينة المنورة:

الأول: قام بالمؤاخاة بين المسلمين، وجذب واحتواء العشائر والقبائل الموجودة في المدينة المنورة آنذاك، وتنظيم المجتمع الإسلامي من الداخل.

الثاني: عقد مجموعة من المعاهدات والمواثيق مع الذين يسكنون في المدينة وجوارها من اليهود آنذاك، لكنهم سرعان ما نقضوا العهود أثناء مجرى الأحداث التي توالت على المسلمين، الأمر الذي دعا النبي ﷺ إلى إخراجهم من المنطقة أو قتلهم، حسب اختلاف القضايا والمناسبات.

وقد اختلف المفسرون في تاريخ واقعة إخراج بني النضير التي نحن بصددها:

فذهب بعضهم إلى أنها بعد واقعة أحد، حيث نقض بنو النضير العهد يومئذٍ، مما أدى إلى إخراجهم[1]، ولعله هو الأرجح من خلال مطالعة

حرتين، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصا منهم على اتباعه، فلما رأوا تيماء، وفيها النخل عرفوا صفته، وقالوا: هو البلد الذي نريده، فنزلوا وكانوا أهله حتى أتاهم تبع، فأنزل معهم بني عمرو بن عوف. راجع معجم البلدان ٥: ٨٤ وغيره، والأكثر على الثاني.

(١) نقل عدة من المفسرون هذا القول عن محمد بن إسحاق، وذهب إليه الراري في تفسيره الكبير ٢٩: ٢٧٨، واختاره ابن العربي في أحكام القرآن ٤: ٢٠٦.

التأريخ الإسلامي.

وذهب آخرون إلى أنها كانت قبل أحد بعد واقعة بدر بستة أشهر[١].

وفي تفاصيل هذه القصة شيء من العبرة، مع ما فيها من نفع في فهم السياسة العامة التي اتبعها رسول الله ﷺ مع اليهود في المنطقة، مضافاً إلى كشفها عن الخلفية الروحية والنفسية التي عاشها اليهود من بني النضير في المدينة المنورة.

وقد ذكرت تفاصيل القصة روايات متعددة مع اختلاف في بعض الخصوصيات كتاريخ النزول، والأسباب التي أدت بهم إلى نقض العهد، وطريقة نقضهم له، وغير ذلك.

ولكن يمكن جمع تلك الروايات وضمها إلى بعض؛ للخروج بتصور واضح عن الأسباب التي أدت إلى نقضهم للعهود، مما دفع بالرسول ﷺ إلى شن الحرب عليهم.

ونشير إلى روايتين رئيسيتين يعرضان مجريات هذه الواقعة:

الرواية الأولى: ينقلها علي بن إبراهيم القمي، عند بيانه سبب نزول هذه السورة المباركة، فقال: ((**أنه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود بنو النضير وقريظة وقينقاع، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة فنقضوا عهدهم، وكان سبب ذلك من بني النضير في نقض عهدهم انه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة**[٢] **يعني**

---

(١) ينقل هذا القول عن الزهري، راجع مجمع البيان ٩: ٤٢٧.

(٢) يذكر التأريخ في قصة هذين الرجلين أن النبي ﷺ أرسل مجموعة من أصحابه للتبليغ والتبشير في بعض مناطق الجزيرة العربية، وبعد مجيء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ ودخوله في الإسلام طلب الرسول ﷺ أن يرسل معه مجموعة من الأصحاب؛ ←

يستقرض، وكان قصد كعب بن الأشرف، فلما دخل على كعب، قال: مرحبا يا أبا القاسم وأهلا! وقام كأنه يضع له الطعام، وحدّث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ ويتبع أصحابه، فنزل جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقال لمحمد بن مسلمة الأنصاري[1]: اذهب إلى بني النضير، فأخبرهم أن الله عز وجل قد أخبرني بما هممتم به من الغدر، فأما أن تخرجوا من بلدنا وأما أن تأذنوا بحرب، فقالوا: نخرج من بلادك فبعث إليهم عبد الله بن أبي ألا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمدا الحرب، فإني أنصركم أنا وقومي وحلفائي، فإن خرجتم خرجت معكم وإن قاتلتم قاتلت معكم، فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيئوا للقتال، وبعثوا إلى

للتبليغ عند بني عامر، عسى أن يهدوهم إلى الإسلام، ولما ذهبوا إلى هناك غدر بهم بنو عامر فأسروهم، ثم قتلوهم واحداً بعد الآخر إلا شخص واحد، هو عمر بن أمية الضمري، الذي تمكن من النجاة بلطائف الحيل، ورجع إلى المدينة، وفي طريقه التقى بشخصين من بني عامر، فقام بقتلهما، ثم تبين بعد ذلك أن هذين الشخصين قد أسلما على يد رسول الله ﷺ ولم يكن يعرف عمر بن أمية هذه الحقيقة، الأمر الذي أدى إلى أن يتحمل رسول الله ﷺ ديتهما باعتبارهما مسلمين، وإن كانا ينتميان إلى عشيرة غدرت بالمسلمين.

إن هذا الموقف من رسول الله ﷺ كان يمثل موقفاً مبدئياً ويلغي عرفاً من الأعراف السائدة في الجاهلية، وهو: أن عشيرة القاتل تتحمل جريرة القتل، ومن ثم يمكن لعشرية المقتول أن توقع القتل في أي فرد من أفراد عشيرة القاتل، فهنا رسول الله ﷺ جسّد الرفض لهذه السنّة الجاهلية المحرمة من قبل الإسلام، بتحمله دية هذين الرجلين، وحينها لم يكن لديه ﷺ مالاً؛ لأن المسلمين كانوا يعيشون حالة من الفقر الشديد، مما أدى بالرسول ـ باعتباره مسؤولاً عن الدولة ـ الذهاب إلى اليهود ـ باعتبارهم أصحاب الأموال ـ ليستلف منهم دية هذين الرجلين إلى أن يأتي موسم الثمار، وحينها يمكن للرسول تحصيل المال من المسلمين وإرجاعه إليهم. منه قدس سره.

(١) محمد بن مسلمة الأنصاري كان أخا لكعب بن الأشرف من الرضاعة. منه قدس سره.

رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج، فاصنع ما أنت صانع.

فقام رسول الله ﷺ وكبّر، وكبّر أصحابه، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: تقدّم إلى بني النضير، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدم، وجاء رسول الله وأحاط بحصنهم، وغدر بهم عبد الله بن أبي، وكانوا إذا ظهر رسول الله ﷺ بمقدم بيوتهم حصنوا ما يليهم وخربوا ما يليه[1]، وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربه، وقد أمر ﷺ بقطع نخيلهم[2] فجزعوا من ذلك، وقالوا: يا محمد إن الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه، وإن كان لنا فلا تقطعه، فلما كان بعد ذلك، قالوا: يا محمد، نخرج من بلادك وأعطنا ما لنا. فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك، فبقوا أياماً، ثم قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل. فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه، فخرجوا على ذلك، ووقع قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج منهم قوم إلى الشام، فأنزل الله فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا - إلى قوله - فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

الرواية الثانية: ينقلها صاحب تفسير الكشاف باختلافات مختصرة، فقال:

---

(١) هذه القضية ترتبط إلى حد ما بالجانب القتالي والحربي؛ لأنهم أرادوا منع رسول الله ﷺ وجيشه من الاستفادة من هذه البيوت والإيواء إليها، وبالتالي اتخاذها منطلقا لشن الهجوم عليهم، فخربوها بأيديهم. منه قدس سره.

(٢) فالرسول وحتى يضيق الخناق عليهم أخذ يقطع النخيل، فكان بذلك يضغط عليهم نفسياً وروحياً واقتصادياً. منه قدس سره.

(٣) تفسير القمي ٢: ٣٥٨ ـ ٣٦٠.

((صالح بنو النضير رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر يوم بدر، قالوا: هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة، فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة، فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقتل كعبا غيلة، وكان أخاه من الرضاعة، ثم صبّحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف. فقال لهم: اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموت أحب إلينا من ذاك، فتنادوا بالحرب.

وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام؛ ليتجهزوا للخروج، فدس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه إليهم: لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم، ولئن خرجتم لنخرجن معكم، فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصروهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله في قلوبهم الرعب، وآيسوا من نصر المنافقين، طلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء؛ على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من متاعهم، فجلوا عن الشأم إلى أريحا وأذرعات، إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل يحيى بن أخطب؛ فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة))[1].

علاقة الحشر بالبيّنة والمجادلة

يذكر في تأريخ نزول سورة الحشر أنها نزلت بعد سورة البيّنة، ومن هنا تحدّث بعض المفسرين عن وجود علاقة قائمة بين السورتين، حيث كان الحديث في سورة البينة عن المشركين وأهل الكتاب، ووصفوا في آخرها بشرّ

---

(١) الكشاف ٤:٧٩ ــ ٨٠، وينقلها الرازي في تفسيره الكبير ٢٩:٢٧٨.

البرية[1]، وفي سورة الحشر الكريمة يدور الحديث عن اليهود ونقضهم العهد، فتكون عندئذ العلاقة بين سورة الحشر وسورة البينة التي نزلت قبلها من الناحية التأريخية هي: علاقة تطبيق المفهوم على مصداقه.

فسورة الحشر تتحدث عن أحد المصاديق الواضحة لما ذكره القرآن الكريم من مطلب كلي في آخر سورة البينة، وهو أن أهل الكتاب والمشركين شرُّ البرية؛ لأن اليهود الذين تناولت سورة الحشر بيان حالهم ونكثهم عهد رسول الله ﷺ وغدرهم به، ومحاولتهم انتهاز الفرص للبطش بالمسلمين يجسدون ذلك المطلب والعنوان الكلي (شر البرية) خصوصا لو أخذنا بنظر الاعتبار معرفتهم برسول الله ﷺ، وبأنه مرسل من قبل الله، وقد قامت الحجة عندهم على ذلك، وظهرت لهم البيّنات من خلال مسيرته وسيرته ﷺ، وما كان يخبر به ﷺ من الإنباء بالغيب، فمع وضوح كل تلك الحقائق لديهم إلا أنهم أصرّوا على إظهار العناد والتمرد واللجاج في مواجهة الرسول، الأمر الذي أدى إلى إخراجهم من أطراف المدينة المنورة.

إذن، فالعلاقة بين السورتين هي: أن سورة الحشر بيان لمصداق من مصاديق ذلك العنوان الكلي المطروح في سورة البينة.

وبما أن سورة الحشر تأتي بعد سورة المجادلة ضمن الترتيب القرآني للمصحف الشريف، نجد بعد التأمل أن بينهما علاقة واضحة أيضاً، حيث تذكر سورة المجادلة عدداً من القضايا قد تلوح معالمها بشكل ما في سورة الحشر، ويمكننا القول أن ما في سورة الحشر مصداق

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. البينة:٦.

وتصديق لما جاءت به سورة المجادلة، كالحديث عن حزب الله وحزب الشيطان، وغلبة حزب الله على حزب الشيطان، فنجد لذلك مصداقا بارزاً في سورة الحشر من خلال غلبة حزب الله المتمثل برسول الله ﷺ وأصحابه الميامين من المهاجرين والأنصار ـ الذين أخلصوا لله سبحانه وتعالى النية والعمل، وضحّوا بأنفسهم وبكل وجودهم، وآثروا إخوانهم على أنفسهم ـ وتحقيقه نصرا كبيرا على حزب الشيطان المتمثل باليهود من بني النضير والمنافقين أمثال عبد الله بن أُبي، كما ذكر في سبب النزول.

ومن جانب آخر بيّن القرآن الكريم في سورة المجادلة حقيقةً قرآنية، تعتبر من السنن التأريخية التي تحكم مسيرة التأريخ، وهي أن الغلبة دائماً لله ورسله: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[1] وتتضح هذه الحقيقة القرآنية وتتجلى ملامحها في سورة الحشر، عند ذكرها الغلبة ونسبتها لله تعالى: ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**...﴾.

وهناك معالم كثيرة أخرى قد نكتشفها عند المقارنة بين السورتين.

وخلاصة ما تقدم: أن هذه السورة تذكر مصاديق لتلك القضايا العامة المبينة والمطروحة في سورة المجادلة أو هي تصديق لما جاء فيها من سنن ومن قضايا عامة.

وعليه فقد تبين مما قدمنا الترابط بين هذه السورة الشريفة وسابقتيها؛ نزولاً (البينة) و ترتيباً (المجادلة).

---

(١) المجادلة: ٢١.

تقسيم البحث

بالإمكان تقسيم سورة الحشر المباركة إلى مقاطع أربع، باعتبار أن الآيات الشريفة في كل هذه المقاطع متضمنة موضوعات مترابطة ومتناسقة فيما بينها، وهكذا الآيات التي في داخل كل مقطع يدور رحاها حول موضوع معين، والمقاطع هي:

المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۞ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يتناول المقطع الشريف بعد إتيانه بمقدمة في تسبيح الله سبحانه وتعالى وتنزيهه، أصل حادثة إخراج بني النضير من المدينة المنورة.

المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

يتناول القرآن الكريم في هذه الآيات موضوعاً من أهم الموضوعات الاقتصادية، وهو الفيء، وأصل ملكيته والموارد التي يصرف فيها، كما يتناول نوعاً خاصاً من أنواع الملكية بالبيان، وهو ما نسميه ملكية الدولة، أي الملكية التي تعود للنبيﷺ وللإمام بإعتباره رئيس دولة، وبما هو إمام ومتولي لها، وما يتناسب من مصارف الفيء مع هذه الملكية.

المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۞ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۞ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۞ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ﴾.

يتناول القرآن الكريم في هذا المقطع العلاقات الروحية والنفسية والسياسية الموجودة بين المنافقين والكفار من أهل الكتاب، والوضع الروحي والنفسي لهم كتقييم عام لطبيعة هذه العلاقات، ولما يحكمها من

أوضاع روحية ونفسية.

المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

تطرح في هذا المقطع مجموعة من الوصايا والعبر يذكرها القرآن الكريم تعليقاً وتتميماً لمعالم الصورة التي رسمتها آيات السورة الشريفة مع بيان الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى، والتي يتم من خلالها تمجيده عزّ وجل.

المقطع الأول

تداعيات نقض العهد

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۞ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يقع البحث في هذا المقطع من جهات ثلاث:

الجهة الأولى: بحث المفردات

هناك بعض المفردات الواردة في آيات السورة الشريفة لابد من بحثها، وهي:

المفردة الأولى: مفردة (أول الحشر) الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

الحشر لغة: هو عملية الجمع والإخراج والتعبئة للحرب[1]، فهو يناسب مفهوم التعبئة العسكرية في هذا العصر، والكلام في المراد من (أول الحشر)؟

للمفسرين في ذلك آراء متعددة نشير إلى الرئيسية منها:

الأول: أن المراد من أول الحشر هو أن عملية إخراج اليهود وحشرهم إلى الشام كانت العملية الأولى بالنسبة لهم. وهناك حشر آخر سيحشر الله

---

(١) لسان العرب ٤: ١٩٠ (مادة حشر).

فيه الناس بشكل عام، وفي ضمنهم هؤلاء اليهود، وهو الحشر في يوم القيامة[١].

وفي بعض الروايات إشارة إلى أن الحشر في يوم القيامة سيكون باتجاه الشام[٢]، وهكذا كان حشر هؤلاء اليهود باتجاه الشام أيضاً، ومع غض النظر عن هذه الخصوصية، فقد يكون المراد من أول الحشر الإشارة إلى أن عملية الإخراج حشر لهم في الدنيا (إخراج لهم في الدنيا) وهناك حشر آخر لهم، وهو حشرهم في يوم الآخرة، حيث سيبدأ الحساب الإلهي ذلك اليوم.

الثاني: أن المراد من أول الحشر، هو بداية عمليات الإخراج المتعددة لليهود التي تمت من قبل النبي ﷺ؛ لأنه ﷺ أخرج اليهود من الجزيرة العربية في عدة عمليات، فكان إخراج بني النضير أولها[٣]، ثم إخراج بني

---

(١) يظهر ذلك من كلام الزمخشري في الكشاف ٤:٨٠، والشيخ الطبرسي قدس سره في جوامع الجامع ٣:٥٣٠ ــ ٥٣١. وحكى الثعلبي في تفسيره ٩: ٢٦٨، عن الزهري قوله: ((كانوا أول حشر في الدنيا حشروا إلى الشام)).

(٢) روى الحرّاني في تحف العقول:٢٤٢ــ ٢٤٣، عن الإمام الحسين عليه السلام في حديث طويل مع ملك الروم قوله: ((**وأما أرواح الكفار فتجتمع في دار الدنيا في حضرموت وراء مدينة اليمن، ثم يبعث الله نارا من المشرق ونارا من المغرب بينهما ريحان فيحشران الناس إلى تلك الصخرة في بيت المقدس فتحبس في يمين الصخرة، وتزلف الجنة للمتقين، وجهنم في يسار الصخرة في تخوم الارضين، وفيها الفلق والسجين، فتفرق الخلائق من عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها من عند الصخرة ومن وجبت له النار دخلها من عند الصخرة**)). وكذا المجلسي يرويها عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مع اختلاف يسير في بحاره ٧:١١٦، ح٥٢، ونقل القرطبي في تفسيره ٢: ١٨، عن ابن عباس وعكرمة: ((**من شك أن المحشر في الشام فليقرأ هذه الآية**)) وقد رُفِضَ هذا من قبل بعض الأعلام. راجع تفسير الأمثل ١٨:١٦٨.

(٣) وكان إخراجهم في السنة الرابعة للهجرة، واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة.

قريضة[١]، بعدها قام النبيﷺ بإخراج اليهود من خيبر وأطرافها[٢]، وهذه العمليات لم تتفق في وقت وزمان واحد، وبحسب هذا الرأي فأول الحشر هو بداية حشرهم وإخراجهم من المدينة المنورة أولاً، ثم من الجزيرة العربية بعد ذلك، فأول الحشر يعني أول عمليات الإخراج[٣].

الثالث: المراد من أول الحشر، هو أن الله تعالى اخرج اليهود بسرعة فائقة في أول العمليات القتالية والتعبوية التي قام بها النبيﷺ، فلم يحتج المسلمون لذلك زمناً طويلاً، ويشار بـ(أول) إلى السرعة التي تم بها الإخراج[٤].

ويوجد بين ما ذكرنا آراء فيها شيء من التفصيل، أعرضنا عنها توخياً للاختصار، ولأن هذه الثلاثة هي الأهم من بين الجميع.

المفردة الثانية: مفردة (الحصون) الواردة في قوله تعالى: **﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾**.

الحصون مأخوذة من الحصن بالمعنى المصدري، وهي جمع حصن. والحصن لغة: المنع[٥]، والحصن الذي هو اسم لمكان يراد منه ذلك المكان المرتفع المحكم الذي يمنع العدو من الهيمنة، والتسلط على المتحصنين به.

---

(١) وكان ذلك لسبع بقين من ذي القعدة في السنة الخامسة للهجرة، وقد استخلف الرسول على المدينة أبا رهم الغفاري.

(٢) لقد جرت تلك الأحداث في السنة السابعة للهجرة النبوية الشريفة.

(٣) حكى الثعلبي هذا الوجه في تفسيره ٩:٢٦٨، عن الكلبي قوله: ((وإنما قال: (لأول الحشر) لأنهم أول من حشروا من أهل الكتاب ونفوا عن الحجاز)).

(٤) حكاه الطبرسي عن يمان بن رباب في المجمع ٩:٤٢٧.

(٥) لسان العرب ١٣:١١٩، (مادة حصن) كتاب العين ٣:١١٨، الحصن: ((كل موضع حصين لا يوصل إلى ما في جوفه)).

عند ملاحظة هذه المادة بحسب استعمالاتها المختلفة في اللغة العربية، نجد أنها تعني نوعاً من المنع، ويتفاوت هذا المنع ومتعلقه بحسب تفاوت تلك الاستعمالات، ولاختلاف موارد المنع ومتعلقه وخصوصياته تختلف استعمالات هذه المادة. فاستعمالها مثلاً في المحصنات، كأن يقال: امرأة محصنة، ويقصد بها من لديها شيء من الامتناع عن الزنا أو عن الانحرافات الجنسية والأخلاقية، كالمرأة المتزوجة؛ باعتبار أن الزواج أحد الموانع من وقوعها في الانحراف، أو المرأة العفيفة وإن لم تكن متزوجة[1]، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾[2] فهنا يقصد من المحصنات النساء العفيفات؛ لأن العفة مانعة عن الوقوع في الزنا والانحرافات الأخلاقية الأخرى، فالتعبير بأنها محصنة، يعني أن فيها ما يمنعها من الوقوع في مثل هذا الانحراف وهو العفة.

المفردة الثالثة: مفردة (القذف) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾.

القذف لغة: هو الرمي[3]. ولكن إذا دققنا في كلمة القذف نجد فيها خصوصية أخرى تضاف إلى الرمي، وهي حالة التدافع بشدة، فالقذف رمي فيه شيء من التدافع والشدة[4]. واحتمل البعض أن تكون هذه

---

(١) قال ثعلب: ((كل امرأة عفيفة محصنة ومحصِنة، وكل متزوجة محصنة بالفتح)). الصحاح ٥: ٢١٠١.

(٢) النور: ٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥:٦٨.

(٤) القذاف: سرعة السير، وناقة متقاذفة: سريعة الركض. كتاب العين ٥:١٣٦.

الخصوصية هي البعد، فالرمي بشكل مطلق يكون من قرب أو بعد، وما كان من بعيد يسمى بالقذف[١].

وما جاء في الآية من أن الله قذف في قلوبهم الرعب، فأما أن يكون المراد منه أن الله تعالى ألقى ورمى في قلوبهم الرعب بشكل متدافع، فأصابهم رعب شديد، أو أن هذا الرمي كان من وراء الحجب وبشكل غيبي، ولم يكن محسوسا أو منظورا لهم، فكأنه رمي من بعيد، فعبر عنه بأنه قذف.

والقذف أحد المصطلحات الفقهية التي يراد منها رمي المحصن أو المحصنة واتهامه بالفاحشة، ويترتب على فاعله الحد، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً**﴾ وهذا الحد لخصوص القذف بمعناه الاصطلاحي الفقهي وهو الرمي بالفاحشة.

المفردة الرابعة: مفردة (يخربون) الواردة في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

وفي بعض القراءات وردت (يخرّبون بيوتهم) بتشديد الراء، وعلى كلا القراءتين المعنى واحد، والخراب في اللغة: حالة مضادة للعمارة[٢].

وذكر المفسرون في المقصود من الخراب في الآية احتمالين:

الأول: أنهم كانوا يهدمونها أو يجرون بعض التغيرات فيها؛ لتصبح خربة[٣]، من قبيل قلع الأبواب والنوافذ وبعض مواد البناء، بحيث تصبح غير صالحة للسكن وللعمارة، وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود من قوله

---

(١) مفردات غريب القرآن:٣٩٧.

(٢) مفردات غريب القرآن:١٤٤.

(٣) جامع البيان ٣٩:٢٨، الأمثل ١٦٩:١٨، التفسير الصافي ١٤٩:٧.

تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ أن هؤلاء اليهود قاموا بعمليات هدم أو تخريب لمساكنهم حتى لا يستفيد المسلمون منها، بعد أن أصبحوا في وضع نفسي وروحي يتوقعون فيه الهزيمة وسيطرة المسلمين على ديارهم، وبقوله: ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أن المؤمنين أيضاً كانوا في عمليات الهجوم يقومون بتخريب هذه البيوت باعتبارها تقع في طريقهم وتمنعهم من الوصول إلى الهدف.

ولعل هذا الاحتمال هو ما يتبادر إلى الذهن من الآية الشريفة.

الثاني: أنهم كانوا يخلونها، فتصبح بيوتاً مهجورة، وهذا نحو من أنحاء الخراب[1]؛ فقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم﴾ أي يجلون عنها إما بأنفسهم أو بهجوم المسلمين عليهم.

المفردة الخامسة: مفردة (الجلاء) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

الجلاء في اللغة على ما يذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته: ((أصل الجلو: الكشف الظاهر، يقال: أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها، أي أبرزتهم عنها، ويقال: جلاه، وقال الله عزّوجل: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾، ومنه جلالي خبر، وخبر جلي، وقياس جلي، وجلوت العروس جلوة، وجلوت السيف جلاء، والسماء جلواء أي مصحية، ورجل أجلى انكشف بعض رأسه عن الشعر، والتجلي قد يكون بالذات نحو: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[2] وقد يكون بالأمر والفعل نحو: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

---

(١) يظهر مما نقله القرطبي في تفسيره ١٨:٥، عن أبي عمرو بن العلاء: ((بأيديهم) في تركهم لها).

(٢) الليل: ٢.

﴿لِلْجَبَلِ﴾[١] وقيل: فلان ابن جلا أي مشهور، وأجلوا عن قتيل إجلاء))[٢].

ويقصد بالتجلي أيضاً الظهور والانكشاف، وكله يرجع إلى شيء واحد.

وذكر البعض في الفرق بين الجلاء والإخراج: أن الإخراج أعم من الجلاء[٣]، فالجلاء هو إخراج الإنسان المصاحب لإخراج عياله وأطفاله وكل متعلقاته، بخلاف الإخراج؛ فإنه أعم لأنه قد يكون للفرد، كما قد يكون للجماعة، وقد يكون للإنسان بدون الأهل والولد والأموال، وكما قد يكون معهم، فالنسبة بين الجلاء والإخراج عموم وخصوص مطلق.

المفردة السادسة: مفردة (المشاقة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ**﴾.

المشاقة لغة: المخالفة[٤]. ويضيف العلامة الطباطبائي قدس سره عنصر العناد إلى هذه المخالفة، فالشقاق عنده هو المخالفة مع تمرد وعناد[٥].

والمشاقة: مأخوذة من الشق، وهو الخرم الذي يحصل بين الشيئين، فتكون المشاقة مأخوذة من حالة الافتراق والمخالفة التي تحصل بعد افتراض وحدة واتصال بين شيئين، أي بعد فرض كونهما واحداً، متصل أحدهما بالآخر، وعند حصول الافتراق والخرم بينهما يقال مشاقة.

أما إذا كانت المخالفة موجودة من أول الأمر، فلا يعبّر عنها مشاقة، بل مخالفة، كما ذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته: من أن الشقاق: ((المخالفة، وكونك في شق غير شق صاحبك أو من شق العصا بينك

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٩٦.

(٣) كالقرطبي في تفسيره ١٨: ٥ ــ ٦، والأندلسي في البحر المحيط ٨:٢٤٣.

(٤) لسان العرب ١٠: ١٨٣.

(٥) تفسير الميزان ٩: ٢٢ و ١٩: ٢٠٢.

وبينه))[١] فيكون الشقاق كناية عن الاختلاف.

المفردة السابعة: مفردة (اللينة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ**﴾ وقد ذكر المفسرون فيها أقوالاً متعددة:

القول الأول: هي كل شجر[٢]. فباعتباره ليناً يعبّر عنه باللينة، فيعمّ النخيل وغيره من الأشجار.

القول الثاني: هي النخلة الناعمة[٣]، بدون اختصاص بنوع من أنواع النخيل، فكل نخلة ناعمة تكون لينة. فاللينة ليست تعبيراً لكل شجرة؛ وإنما تختص بالنخل.

القول الثالث: هي نوع خاص من النخيل، وفيه عدة احتمالات:

فقال بعضهم: بأنها العجوة[٤]، وهي نوع خاص من النخيل، وقال ابن الأثير[٥] في وصفه: ((هو نوع من تمر المدينة أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد من غرس النبي ﷺ)).

وقال بعضهم: اللينة هي خصوص كرام النخل[٦].

وقال بعضهم: اللينة فسيل النخل، أو النخلة القصيرة[٧].

---

(١) مفردات غريب القرآن:٢٦٤.

(٢) وهذا القول نادر جدا، ولم يتبناه أحد بخصوصه، كما خلت أغلب كتب التفسير من ذكره ولو على نحو القيل، ومن الكتب القليلة التي نقلته: أضواء البيان ٢٨:٨، وتفسير العز ٢٩٩:٣.

(٣) تفسير غريب القرآن:٥٢٩، تفسير الميزان ٢٠٢:١٩، تفسير العز ٣: ٢٩٨.

(٤) حكاه الآلوسي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير ٢٨: ٤٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث ١٨٨:٣.

(٦) قاله مجاهد وابن زيد، راجع مجمع البيان ٤٢٨:٩، وفي التفسير الصافي٥: ١٥٥ جاء: (ما قطعتم من لينة نخلة كريمة).

(٧) حكاه الآلوسي على نحو القيل في تفسيره ٤٣:٢٨.

الجهة الثانية: البحث التفسيري

يتم الكلام في هذه الجهة عن تفسير الآيات التي يتألف منها المقطع الشريف.

الآية الأولى: أنحاء التسبيح وأبعاده

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

مما هو واضح أن سورة الحشر تعدُّ من السور المسبحات، كونها تبدأ بتسبيح الله سبحانه وتعالى، وقد ورد عدد من تلك السور في هذا القسم من القرآن الكريم المسمى بالمفصّل[1]، ويمثل التسبيح الذي معناه التنزيه

---

(١) قسّمت سور القرآن الكريم إلى طوال ومئين ومثاني ومفصل؛ لما ورد عن الرسول المصطفى ﷺ، حيث قال: ((**أعطيت مكان التوراة السبع الطول، وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل**)).

فالسور الطوال هي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، وسميت بذلك لطولها على سائر القرآن.

وأما المئون: فهو كل سورة تبلغ مئة آية أو يزيد عليها شيئا يسيرا، أو ينقص عنها شيئا يسيرا. وهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وقيل: ما ولي السبع الطوال.

وأما المثاني: فهي ما ثنت المئين، فتلته، فكأن المئون لها أوائل أو مباديء، وكأن المثاني لها ثوان، وقيل: هي سور القرآن كلها طوالها وقصارها، وعن ابن عباس: إنها سميت بذلك لتثنية الله فيها الأمثال، والحدود، والقرآن، والفرائض. وقال قوم: المثاني هي سورة الحمد؛ لأنها تثنى قراءتها في كل صلاة، وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام.

وأما المفصل: فهو السور اللواتي كثر الفصل بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم، وفي تحديده قال أكثر أهل العلم: أول المفصل سورة محمد ﷺ وآخره سورة الناس. وقال آخرون: من ق إلى الناس. وقال غيرهم: إنه من سورة الضحى إلى الناس، وحكي هذا القول عن ابن عباس.

⇦

ظاهرة كونية شاملة غير مختصة بفرد معين أو جماعة خاصة أو مخلوقات محددة، والآية الشريفة أكدت هذه الحقيقة، حيث إنها لم تقصر التسبيح على الإنسان، أو الحيوان، بل شملت حتى النبات، وكل ما في السموات والأرض بدون استثناء، وتتجلى هذه الظاهرة الكونية في بعدين:

البعد الأول: يرتبط بالتعبير عن الوحدانية لله سبحانه وتعالى والكمال المطلق له، حيث نجد في الكون ما يدل على هذه الحقيقة من خلال الحاجة المستبطنة في المخلوقات، والتي تعبّر عن الوحدانية لله الغني القهار، ومن خلال النظم المكتنف لهذه المخلوقات الذي يعبّر عن صفات الإله الكامل المطلق، من قدرة، وعلم، وحكمة، وجمال، وجلال، فكل صفات الله نشاهدها من ملاحظة هذا النظم والإتقان والإحكام الموجود في زوايا الكون ودقائقه، وبالتالي نلاحظ أن الكون ينبأ عن هذه الحقيقة.

البعد الثاني: يرتبط بفهم التسبيح من خلال تعبير الكون بكل معالمه عن الحمد والتمجيد والثناء لله سبحانه وتعالى بصفات الحمد والثناء، ومن هنا أشار القرآن الكريم إلى جانبين في التسبيح:

أما وجه الحكمة في تفصيل القرآن بهذا النحو فذكر فيه عدة وجوه:

منها: أن القارئ إذا خرج من فن إلى فن كان أحلى في نفسه وأشهى لقراءته.

ومنها: أن التفصيل أبين، إذ كان الإشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر.

ومنها: أن جعل الشيء مع شكله، وما هو أولى به هو الترتيب الذي يعمل عليه.

ومنها: أن الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامة ويقتصر عليها، وقد يكون ذلك سبباً يدعوه إلى غيرها.

ومنها: أن القارئ كلما ترقى إليه درجة درجة ومنزلة منزلة، كانت القوة عليه أشد، والوصول إليه أسهل، وإنما السورة منزلة يرتفع منها إلى منزلة. راجع التبيان ١: ٢٠ــ٢١، ومجمع البيان ١: ٤١ ــ ٤٢.

أولهما: يرتبط بتسبيح الله تعالى مباشرة، كما ورد في أول هذه السورة الشريفة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

ثانيهما: يرتبط بالتسبيح بحمد الله سبحانه وتعالى، كما في آيات كثيرة من القرآن، حيث نلمح فيها هذا النحو من التسبيح المعبّر عنه بالثناء والحمد والتمجيد لله عزّ وجل.

ويقع التسبيح على نحوين:

تسبيح اختياري: كما هو الحال في تسبيح الإنسان الذي منّ الله تبارك وتعالى عليه بالاختيار، وقد يكون في تسبيح كل المخلوقات المختارة لا خصوص الإنسان، مثلما يفهم من بعض الآيات الشريفة في شأن الجن، حيث إنهم مختارون، ولذا ألقيت عليهم المسؤولية.

وكيفما كان فكل المخلوقات المتصفة بالاختيار قد تكون مسبحة بهذا النحو من التسبيح.

تسبيح تكويني: ويُعبّر عنه هذا الكون بوجوده الواقعي التكويني، ونجد آيات عديدة دالة على هذا الشمول في التسبيح، ولعل أبينها وأوضحها ما ورد في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[1] حيث عبّرت الآية ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ للإشارة إلى هذا النحو من التسبيح، وهو الثناء والحمد والتمجيد.

وهكذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

---

(١) الإسراء: ٤٤.

﴿يَفْعَلُونَ﴾[1] ففيه تأكيد لهذه الحقيقة الكونية.

وبدأت السورة المباركة بالتسبيح باعتبار أنها ستتعرض إلى موقف اليهود والمنافقين وغدرهم، وغلبة الرسول ﷺ وانتصاره عليهم، فاستحقت أن تبدأ بالتسبيح والتنزيه لله عزّ وجل من كل نقص، سواء من جهة العجز أو قلة القدرة، كما تصور اليهود والمنافقون عندما نقضوا العهد، وحاولوا الغدر بالرسول وبالمسلمين، حيث ظنوا أن الله تعالى غير قادر عليهم، فجاء التسبيح؛ ليعبر عن تنزيه الله عن هذا العيب والنقص في القدرة.

أما فيما يتعلق بقضية الحرب التي قد توهم شيئاً من نقض العهد، فجاء التسبيح مؤكداً على أن هذه الحرب أشعلها اليهود والمنافقون أنفسهم؛ لأنهم هم الذين غدروا، وهم الذين نقضوا العهد، ولم يبدأها المسلمون.

كما قد نلحظ هذا التسبيح في قبال ما ذكره اليهود في مخاطبتهم لرسول الله ﷺ عندما أخذ يقطع نخلهم، فقالوا له: إن ربك نهاك عن الفساد، وأنت الآن تقطع النخل وتفسد في الأرض!

فلذا أكدَ القرآن الكريم على نفي هذا الإفساد عن الله عزّ وجل وتنزيهه عنه، فليس هو أمر بالفساد ولا بالإفساد، وإنما كان فيه كل المصلحة، كما أشار إلى ذلك قوله: ﴿**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

فكان هذا الأمر بإذن الحق تعالى، لما فيه من مصلحة عامة للرسالة وللإنسانية جمعاء، وإن كان فيه شيء من الفساد، فإنما يختص بهذه النخلة أو تلك، وهذا ليس بشيء مع ما ترتب عليه من مصالح عظيمة تبينت بعد ذلك، لما فرض المسلمون هيمنتهم وعمّ نور الرسالة الإسلامية أرجاء

---

(١) النور: ٤١.

الجزيرة العربية كلها.

فشروع السورة بالتسبيح، إنما هو للإشارة إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل شائبة نقص أو عيب تخطر في أذهان اليهود والمنافقين، ومن لف لفهم ممن عادوا الإسلام، وهكذا اختتامها بالتسبيح ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

كما وأكدت على صفتي العزة والحكمة في كل من آيتي الافتتاح والاختتام، باعتبار ظهور العزة الربانية في هذه الواقعة التي مثلت مظهراً للحكمة الإلهية في التعامل مع حركة التأريخ، ومع الأحداث والمواقف السياسية التي يتخذها أعداء الإسلام، فكان تأكيدها على هاتين الصفتين منسجماً مع تنزيه ساحة القدس الإلهي.

الآية الثانية: التدخل الإلهي

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾.

تناولت الآية الكريمة مجموعة من الأمور التي يرتبط بعضها بالبعض الآخر، ويشكّل مجموعها صورة للتدخل الإلهي في عملية إخراج بني النضير.

وتلك الأمور هي:

الأمر الأول: القرار الإلهي التكويني والتشريعي بإخراج الكافرين من أهل الكتاب، حيث إن قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ**

﴿الْكِتَابِ﴾ يبين أن عملية الإخراج تمت من قبل الله سبحانه وتعالى، وهو لم يكن قراراً تشريعياً فحسب، بمعنى أن الله تبارك وتعالى أصدر حكماً بإخراجهم، ونفذه النبيﷺ، بل كان إخراجاً من الناحية التكوينية والخارجية.

وهذا أمر مهم أوضحه القرآن الكريم في هذه الآية، حيث أشار بشكل عام إلى أن كل ما في الكون من حوادث وحركات، ومن مواقف وسكنات، تنسب إلى الله عزّوجل باعتباره هو من وراء أسبابها ومسبباتها، فهو سبب الأسباب وعلة العلل، ومن هنا صحة نسبة كل ما في الكون إليه تعالى، حتى الظواهر التي تنسب بظواهرها إلى سبب معين؛ لأنه تعالى وراء كل هذه الظواهر ومسبباتها.

فما أراده القرآن الكريم في الآية الشريفة ليس التأكيد على هذا النوع من النسبة لله عزّ وجل، بل بيان أن عملية إخراج أهل الكتاب كانت بتدخّل مباشر من قبل الله.

فالمسلمون وعلى رأسهم النبيﷺ خططوا ودبروا وأحكموا وأتقنوا هذه العملية بما اتخذوه من إجراءات ـ وهذا هو تكليفهم وواجبهم ـ ولكن الله تعالى كان وراء كل تلك الأعمال، وللتدخل المباشر من قبله سبحانه كانت النهاية، وهي إخراج بني النضير، وعلى هذا الأساس نسب القرآن الكريم هذه العملية لله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾.

ولعل الإشارة لأول الحشر ـ خصوصاً إذا أخذناها بالمعنى الثالث من المعاني المحتملة[1] ـ تؤكد هذا الكلام، حيث إن عملية الإخراج لم تستغرق

---

(١) وهو أنه تعالى أخرجهم بسرعة فائقة في أول العمليات القتالية والتعبوية، ولم يحتج إخراجهم زمنا طويلاً.

فترة طويلة، فبمجرد قيام النبي ﷺ بتعبئة المسلمين لمواجهة أهل الكتاب استسلموا وخرجوا من ديارهم.

كما يشهد للتدخل الإلهي المباشر في إخراجهم عدم توقع المسلمين خروج أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر: ﴿**مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا**﴾ وهذا خطاب موجه للمسلمين آنذاك، فلو كان هناك ظن أو احتمال في تمكن المسلمين من إخراج اليهود لما صح خطابهم بذلك.

فقوة بني النضير من جهة ما لديهم من القدرة والمنعة، وما امتازت به بلادهم من تحصين، وجماعتهم من تنظيم، جعل المسلمين يستبعدون خروجهم بهذه السهولة ولأول الحشر، بل لم يظن أهل الكتاب أنفسهم حصول ذلك أيضاً، كما قال تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾.

الأمر الثاني: ظن أهل الكتاب قدرتهم على الامتناع، لما يملكونه من إمكانات مادية كبيرة، ويشير قوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ إلى أهمها، وهي الحصون التي كانوا يتمنّعون بها على المسلمين.

وهذا الأمر في واقعه يكشف عن العقلية التي يعيشها الكفار من أهل الكتاب أو من غيرهم، حيث إنهم يقصرون نظرهم في المواجهة والقتال والنصر على الجانب المادي دائماً، ظناً منهم أن حصونهم وإمكانياتهم المادية تمنعهم من الله سبحانه وتعالى، فأدت العوامل الغيبية الإلهية المباشرة إلى هزيمتهم وخروجهم من ديارهم.

الأمر الثالث: غفلة أهل الكتاب عن أهمية الجانب النفسي والمعنوي في مسألة النصر، حيث اقتصروا في حساباتهم على الإمكانات والقدرات المادية التي يملكونها كالحصون والأسلحة وما أشبه ذلك. فلم يأتهم الله عزّ وجل من جهة الإمكانات المادية فحسب - أي الإمكانات التي هيأها رسول الله ﷺ

والمسلمون، إذ إنها لوحدها قد لا تكون قادرة على مواجهة ما يملكه اليهود من تنظيم وحصون - بل أتاهم من جانب آخر لم يدخلوه في حسابهم، ولا في فهمهم للنصر والمقومات الأساسية التي ينبغي استخدامها في المعركة، وهو الرعب، كما يقول تعالى: ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ أو ما يسمى في عصرنا الحاضر بالحرب النفسية.

فعندما يعيش الإنسان حالة الخوف والرعب سينهزم نفسياً، وعندئذٍ يفقد إرادته وقدرته على الصمود والصبر والمواصلة، وتصبح كل إمكاناته المادية التي يملكها غير قادرة على أداء وظيفتها ودورها في المعركة؛ لأن الإمكانات المادية تابعة لإرادة الإنسان ووضعه النفسي والروحي، فعندما ينهزم في نفسه وروحه ومعنوياته يفقد إرادته، وعندها تعجز تلك الإمكانات المادية عن أداء دورها، وتكون الهزيمة هي النتيجة.

الأمر الرابع: النتائج المترتبة على الجانب الروحي والنفسي المتدهور الذي عاشه اليهود آنذاك، فقد أوضح القرآن الكريم أنها لم تقف عند الهزيمة والخروج من الديار، بل أنتجت آثاراً أكثر سوءاً، أشار لها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ**﴾، فقد وصلت حال الفرد منهم إلى أن يخرّب بيته بنفسه وبيده، سواء على المعنى الأول من الخراب (بأنهم كانوا يهدمون البيوت ويتركونها) أو على المعنى الثاني(بأنهم اخذوا يتركونها بإرادتهم لا بفعل قتال المسلمين).

الأمر الخامس: العبرة والاعتبار ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾، فما حصل لابد أن يكون موضع اعتبار للمسلمين؛ لأن الله أرادهم أن ينظروا إلى قضايا النصر والمواجهة من زاوية الأبعاد المادية والمعنوية والغيبية التي بها يتحقق النصر.

الآية الثالثة: الستة الإلهية عند نقض العهد

قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

تعتبر الآية الكريمة تتمة لسابقتها، حيث تشير إلى السنّة الإلهية بالنسبة لأولئك الذين ينقضون العهود والمواثيق.

فبعد أن أشارت الآية السابقة إلى إخراج اليهود والعوامل المؤثرة في ذلك، وأهمها ما قذفه الله سبحانه وتعالى في قلوبهم من الرعب، يشير القرآن الكريم في هذه الآية إلى شأن حكم إخراجهم من ديارهم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى، وترجمه على ساحة الواقع.

وتشتمل الآية الكريمة على فقرات ثلاث:

الفقرة الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ﴾.

تشير الفقرة إلى أن الله سبحانه قد كتب عليهم الجلاء. والكتابة هنا بمعنى الفرض، ويراد منه الفرض التشريعي، بمعنى أنه تعالى فرض عليهم الجلاء من الديار كحكم شرعي على لسان رسوله ﷺ.

والجلاء المشار إليه في الآية إنما هو عبارة عن إخراج هؤلاء الناس بشكل مكشوف وواضح، وأمام الأعين، ولذلك عبّر عنه القرآن الكريم بالجلاء.

الفقرة الثانية: قوله تعالى: ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾.

لو أن الله تبارك وتعالى لم يجعل حكمهم الجلاء لرتب عليهم حكماً أشد منه، وهو العذاب في الدنيا.

وذهب أكثر المفسرين إلى أن المقصود من العذاب في الدنيا هو القتل[1].

---

(١) ولعله مجمع عليه، وممن ذهب إليه الطوسي رحمه الله في مجمعه ٤٢٨:٩، وابن جرير في جامع البيان ٤١:٢٨، والثعالبي في تفسيره ٤٠٧:٥.

وذكر بعضهم: أن المقصود من العذاب في الدنيا هو عدم الاستقرار وعدم الطمأنينة، والعيش في حالة من القلق والاضطراب[١]. والأول هو الأنسب.

ونلاحظ أن القرآن الكريم في سورة الأحزاب يشير أيضاً إلى هذا الحكم الشرعي والسنّة الإلهية التي وضعها لأولئك الذين يتبنون موقفاً معادياً للدولة الإسلامية، ويتسببون بعدم استقرارها وعدم أمنها في قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً**﴾[٢] ثم يشير إلى القتل في الآية التالية: ﴿**مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً**﴾[٣].

فهنا الحكم الشرعي تدرج من الإخراج والنفي، وعدم المجاورة إلى الغضب واللعن الإلهي والقتل.

ويكشف القرآن الكريم أن هذا الأمر لم يكن إجراءً خاصاً بهؤلاء المنافقين أو مرضى القلوب أو المرجفين، وإنما هو من السنن الإلهية كما ورد في قوله تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾[٥].

---

(١) يظهر هذا من كلام ابن عبد البر في التمهيد ١٢:٢٥٨، في بيانه لقوله تعالى: ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ بأنه: ((لا وجه لذكر الرجز في هذا الحديث إلا العذاب، وكل ما ابتلي به الإنسان من الأوجاع والمحن والشيب و غير ذلك، فهو من العذاب، وقال: ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾ هذا كله وما أشبهه من العذاب، والله أعلم)).

(٢) الأحزاب:٦٠.

(٣) الأحزاب:٦١.

(٤) الأحزاب:٦٢.

(٥) فاطر:٤٣.

وإذا وضعنا الآيتين إلى جانب الآية التي نحن بصددها، فيكون المراد من العذاب في الدنيا هو قتلهم.

الفقرة الثالثة: قوله تعالى: ﴿**وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾.

في الفقرة دلالة على أن العذاب الدنيوي ليس أمرا لاغيا للعذاب الأخروي، فحتى لو نزل العذاب الدنيوي بهم، فسيبقى العذاب الأخروي - الذي هو أشد وأنكى - بانتظارهم.

إذن فالإجراء المعتمد تجاه هذه الحالة ليس دنيوياً فحسب، وإنما هو إجراء أخروي أيضاً.

الآية الرابعة: عاقبة المشاقة

قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

بعد أن ذكر القرآن الكريم الحكم الذي يستحقه بنو النضير، جاءت هذه الآية توضح أن العلة في ذلك هي مشاقة الله ورسوله.

وهذا الأمر تناوله القرآن في موارد متعددة، ففي سورة الأنفال أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1] مع بيانه حادثة تشبه إلى حد بعيد حادثة بني النضير، غاية الأمر أن الحادثة المشار إليها في سورة الأنفال كانت مع المشركين، وأن الله تبارك وتعالى هزمهم بنفس الطريقة التي تمت بها هزيمة اليهود من بني

---

(١) الأنفال: ١٢ ــ ١٣.

النضير، وهي إلقاء الرعب في قلوبهم، ويفسّر هذا الحكم ما جرى على أولئك المشركين بنفس ما يذكره مع هؤلاء.

وتكاد هذه الآية أن تتطابق مع الآية التي نحن بصددها، مع فارق بينهما في خصوصيتين:

الأولى: في سورة الأنفال جاء التعبير ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ وجاء التعبير هنا ﴿**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّه**﴾ دون تكرار حرف القاف، بل جاء حرف القاف فيها مشدداً، وكلا التعبيرين يصلحان في اللغة العربية للتعبير عن معنى واحد، وهو المشاقة.

الثانية: في سورة الأنفال كررت كلمة الرسول ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أما في سورة الحشر، فيقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ دون أن يعطف رسوله عليه، مع مجيء العطف على ذلك في القسم الأول من الآية ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ أي عند العطف وبيان الجزاء لم تذكر الآية كلمة (رسوله) على خلاف ما في سورة الأنفال.

ولعل عدم الذكر هنا تفنن في التعبير القرآني، فلعل القرآن أراد الإشارة هنا إلى أن مشاقة الرسول في واقعها مشاقة لله تعالى، فاكتفى بذكر مشاقة الله وحده، أما في سورة الأنفال لم يكن الأمر كذلك؛ إذ إن سورة الأنفال نزلت في الفترات الأولى في المدينة، وكان القرآن حينها بحاجة إلى عطف كلمة الرسول على الله تأكيداً لهذا المفهوم، أما في المرحلة المتأخرة، ولأجل التفنن في التعبير أراد الإشارة إلى أن مشاقة الله هي مشاقة للرسول أيضاً بلا تكرار.

وموضوع المشاقة ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم، وبعد التدقيق فيها نجد أن للمشاقة تقييماً خاصاً بحسب النظر القرآني وآثاراً ترتبها الشريعة المقدسة عليها.

تقييم المشاقة وآثارها

إن المشاقة بحسب النظر القرآني لا تنفع صاحبها، وفي نفس الوقت لا تضر الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**﴾[1].

إذن بحسب التقييم الإلهي ليس للمشاقة تأثير على الله، فهو تعالى أعلى وأقدر وأقوى من كل الأعمال السلبية التي يقوم بها الكافرون، ومهما كانت ليس لها أن تضر المسيرة والرسالة؛ لأن الرسالة هي الأقوى تأثيراً في حركة التأريخ، والأصلب من أن تضرها هكذا أعمال.

وما يترتب على المشاقة من آثار، فهي:

الأثر الأول: دخول جهنم، فالذي يشاق الله ورسوله مصيره جهنم، كما ورد في قوله تعالى:﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾[2].

الأثر الثاني: إحباط العمل، فمن كان مسلماً ويقوم بالإعمال الصالحة إذا خالف الرسول بعدها وشاقّه، فسيحبط ما قدّم من عمل، ويذهب أدراج الرياح.

فللمشاقة أثر سلبي لا في عمله الحاضر والمستقبل وحسب، بل حتى في أعماله السابقة، وهذا يدلل على عظم هذا الذنب المرتكب، وفي هذا تأكيد على أهمية طاعة الرسول وولي الأمر المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى

---

(١) محمد: ٣٢.

(٢) النساء: ١١٥.

على المسلمين.

الأثر الثالث: الجلاء أو القتل، ولقد تقدم ذكره ولا يحتاج إلى مزيد بيان.

فيتضح مما تقدم أن هناك أثر يرتبط بالآخرة، وهو دخول الإنسان النار، وأثر ينعكس على أعماله وتكامله ومسيرته الذاتية، وهو إحباط عمله، وأثر ينعكس على وضعه السياسي والاجتماعي، وهو الإخراج من الديار أو الفتك، ولذلك فسّر القرآن الكريم ما ورد من حكم في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**﴾ بقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

ويعني أن عقاب الله تعالى شديد لمن يشاق الله أو يشاق الرسول، وتقدم أن عدم تكرار كلمة الرسول هنا معناه أن مشاقة الرسول هي مشاقة لله سبحانه وتعالى بقرينة ما ورد في صدر الآية من قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ فيترتب عليها العقاب الشديد المتمثلة أبعاده في دخول جهنم، وإحباط العمل، والإخراج من الديار أو القتل، ونصل من ذلك إلى نتيجة هي أن عقاب المشاقّ لله ورسوله يمثل القمة.

الآية الخامسة: الأذن الإلهي بالقطع

قال تعالى: ﴿**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

تقدم في أسباب النزول أن الآية الشريفة وردت في مقام الرد على استنكار اليهود على النبيﷺ عندما شاهدوه يقطع النخيل المحيط بحصونهم، معتبرين هذا العمل، من الإفساد في الأرض.

فجاء الرد القرآني: أن قطع اللينة أو تركها على أصولها قائمة، هو بإذن

الله عزّ وجل، وأن ما جرى هو حكم شرعي من الله سبحانه وتعالى وبأذنه، وليس قرارا من النبي محمدﷺ كبشر، وإنما هو حكم أنزله الله على رسوله، ولا إفساد فيه، بل فيه مصلحة مهمة وهي:

إما للضغط على اليهود، وبالتالي إخراجهم من الديار بهذه الطريقة. ولا شك حينها يكون في هذا القطع دفع لمفسدة أعظم، وهي ما أوجده اليهود من حالة اضطراب وعدم أمن في المنطقة.

أو لرفع الساتر بين المسلمين وبينهم، وبالتالي يسهل التوجه إليهم في العمليات العسكرية.

الجهة الثالثة: استفادات عامة

يكون البحث في هذه الجهة حول بعض الاستفادات العامة التي يمكن استخلاصها من آيات المقطع الشريف.

الاستفادة الأولى: فلسفة الطرد وخلفياته

من الملاحظ أن النبيﷺ اقتصر في اجرائه العملي تجاه بني النضير على الإخراج، ولم يتعامل معهم كما تعامل مع غيرهم من اليهود الذين نازلهمﷺ بعد معركة الأحزاب[1]، حيث إن الحكم الذي أجراهﷺ هو القتل، وذلك بعد احتكام اليهود إلى سعد بن معاذ[2]، الذي كان حليفاً لهم

---

(١) وهم بنو قريضة حيث كانوا على عهد مع الرسول، ثم نقضوه في واقعة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة في شهر شوال أو ذي القعدة.

(٢) كان سعد بن معاذ وقتها قد جرح في معركة الأحزاب جرحاً بليغاً، فجيء به محمولاً إلى النبيﷺ، وطرحت عليه قضية اليهود المحاصرين الذين قبلوا النزول على حكمه فحكم فيهم بحكم الله. منهرضي الله عنه.

قبل الإسلام، فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي النساء والذرية ومصادرة كل الأموال، فكبّر رسول الله ﷺ، وقال: ((**لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**))[1].

ومن هنا نتساءل عن عدم حكم رسول الله ﷺ على بني النضير بنفس الحكم الذي أجراه على غيرهم من اليهود بعد معركة الأحزاب؟

إن قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ فيه دلالة على أن حكم الإخراج إنما هو حكم تخفيفي لليهود؛ لأن هذه الواقعة كانت في بداية تشكّل المجتمع الإسلامي وتكونه، وبالتالي فالإسلام من أجل توطيد دعائمه بين الناس من ناحية، وتوضيح الحقيقة لهم من ناحية أخرى اهتم في أن تكون أحكامه مخففة نسبياً.

فالرسالة لّما كانت في بدايتها، والحكم الإسلامي في مراحله الأولى كانا تحت مرأى ومسمع المجتمعات الإنسانية ومراقبتهم، فينظرون بإمعان إلى كل أعماله ونشاطاته وتصرفاته، وكيفية تعامله مع الأحداث، فمن هنا اتخذ الرسول ﷺ هذا الموقف المخفّف حفاظاً منه على صورة الحكم الإسلامي، وتجسيدا للرحمة الإلهية.

ولو افترضنا أن النبي ﷺ عمد إلى اتخاذ إجراءات مشددة منذ البداية؛ لكانت النظرة العامة حول الإسلام أنه حكومة انتقامية دموية، تحب القتل والهيمنة.

ومن ناحية أخرى كان محتماً على الإسلام اتخاذ إجراء تجاه موقف اليهود المعادي للرسالة الإسلامية والحكم الإسلامي المتمثل بنقضهم للمواثيق والعهود التي قد دخلوا فيها مع رسول الله ﷺ، والأكثر من ذلك ـ على ما

---

(١) مستدرك الوسائل ١١:١٢٨، ح ١٩، تفسير البيضاوي ٤:٣٧١.

تشير إليه بعض النصوص التأريخية ـ محاولتهم اغتيال رسول الله، فكان الرد المناسب من قبل الدولة الإسلامية في ذلك الوقت هو الإخراج.

وتقدم في سبب النزول أن عملية الطرد تطورت تدريجياً، حيث كان القرار الإلهي في البداية إخراج بني النضير مع كل ما يمكنهم حمله ونقله من ممتلكاتهم، ثم بعد ذلك اشتدّ الحكم عليهم عندما رفضوا مرة بعد أخرى، حتى أصبح حكمهم الإخراج على أن لهم من ممتلكاتهم ما تتمكن دوابهم من حمله دون السماح لهم بأكثر من ذلك، وفي هذا الأمر إشارة إلى أن الإسلام في الوقت الذي يراعي جانب الرحمة والرأفة في الإجراءات، فهو لا يسمح بأن تتعرض الدولة الإسلامية أو قائدها إلى التهديد، كما لا يسمح لشيء بالوقوف حجرة عثرة أمام الرسالة.

المقارنة بين الإخراج والقتل

من خلال استعراض الآيات الكريمة التي تعرضت لقضية الإخراج، نجد أن القرآن يقارن بين الإخراج والقتل، ويبدو بحسب النظر القرآني أن الإخراج يمثل مرتبة متأخرة عن القتل، فالقتل من حيث شدة الحكم يعتبر في المرتبة الأولى، ويليه الإخراج في المرتبة الثانية، ولذلك قرن القرآن الكريم بين القتل والإخراج في آيات عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ**﴾[1].

فعندما تحدّث القرآن عن الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني إسرائيل أشار إلى أمرين مهمين فيه:

أولهما: عدم قتل النفس المحترمة.

---

(١) البقرة: ٨٤.

ثانيهما: الإخراج من الديار.

وهذا ما نجده في قوله تعالى تعقيباً على نقضهم لذلك الميثاق: ﴿**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ**﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾[٢].

فمن الشواهد المتقدمة يتضح أن الإسلام ينظر إلى عملية الإخراج على أنها إجراء قريب من القتل، من حيث كونها عقوبة وجزاء، ومن حيث المفاسد المترتبة عليها، ولذا جعلها القرآن إلى صف القتل وقريبة منه.

وورد هذا الاقتران أيضاً في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً**﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾[٤].

بحيث نجد أن القرآن يجعل الإخراج مبرراً شرعياً وإنسانياً للقيام بعملية الجهاد وقتال الظالمين، مبيناً أن هذا الظلم تجسده عملية الإخراج.

الاستفادة الثانية: دور المعنويات في المعركة

لاشك أن القضية المعنوية تعتبر من أهم القضايا التي يتم بها تحقيق النصر،

---

(١) البقرة: ٨٥.

(٢) الممتحنة:٨.

(٣) النساء: ٦٦.

(٤) الحج:٣٩ ــ ٤٠.

وقد أشرنا في بحث مفصّل عن الجهاد إلى العناصر المهمة المؤثرة في عملية النصر[١]، ومن خلال دراسة تلك العناصر، نجد أن الجانب الروحي والمعنوي يمثل الجانب الأهم في تحقيق النصر، حتى على مستوى الإنسان نفسه، بحيث يمكن له الاستفادة من كل الإمكانات المادية المتوفرة لديه في المواجهة.

ولا يخفى أن قيمة الإمكانات المادية مرتبطة بقيمة الجانب المعنوي، وبمستوى الإمداد الإلهي والغيبي؛ لأن النصر هو من عند الله تعالى، ودور الإنسان فيه محدود.

هذا الأمر الغيبي الذي عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[٢] وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[٣] وقوله: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾[٤].

يمثل العنصر الأهم في عملية النصر، وله ارتباط وثيق بالجانب المعنوي.

فكلما تمكن الإنسان من توفير الجانب المعنوي من قبيل الإيمان المطلق بالله عزّوجل، والتوكل عليه، واللجوء والإخلاص له سبحانه في العمل، أو من قبيل الصبر والتحمل والاستقامة والاستمرار في الطريق، أو من قبيل الشجاعة والجرأة والإقدام وعدم التردد، واتخاذ الموقف الحازم، كان أقرب للنصر.

وهذه الأمور المعنوية هي الأساس لاستمداد ذلك الجانب الغيبي الذي وعد الله سبحانه وتعالى به الإنسان حينما تتوفر وتتهيأ الشروط.

---

(١) تفسير سورة الصف.

(٢) الفتح: ٧.

(٣) محمد:٧.

(٤) المجادلة:٢١.

ويشير القرآن الكريم هنا إلى أحد أبعاد الحالة المعنوية ـ وهو البُعد المرتبط بالأعداء ـ لأن جانباً من أبعادها يرتبط بالمسلمين والمؤمنين من جهة ضرورة توفر الشروط المعنوية في أنفسهم، والجانب الثاني يرتبط بالأعداء، بحيث كلما ضعف الجانب المعنوي فيهم كانوا إلى الهزيمة أقرب، والمسلمون إلى النصر أدنى.

ويشير القرآن الكريم في سورة الحشر إلى أنه بإضعاف الجانب المعنوي للأعداء والذي عبّر عنه بقوله: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**﴾ تحقق النصر، فبالرغم من أن العوامل المادية الممكّنة لليهود من الصمود أمام المسلمين كانت متوفرة، مما جعلهم يظنون أن لديهم القدرة على الصمود في مقابل المسلمين، وحتى المسلمين كان هذا ظنهم أيضاً، ومع كل ذلك لَما قذف الله الرعب في قلوبهم تعرضوا للهزيمة.

وهذا الأمر قد أشارت إليه الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة في موارد عديدة، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة**))[1] وعلى هذا يكون موردنا أحد مصاديق نصر الرسول بالرعب.

الاستفادة الثالثة: العقاب الأشد

يؤكد القرآن الكريم دائماً عند ذكره عذاب المتمردين والمنحرفين والمرتدين على حقيقتين رئيسيتين:

الحقيقة الأولى: العذاب في الدنيا، حيث إن هناك حدوداً وإجراءات

---

(١) الخصال: ٢٩٢، ح٥٦.

وعقوبات وضعها الله سبحانه وتعالى لهذه الحالات الإنحرافية من تمرد وعصيان وزعزعة لأمن الدولة الإسلامية، وذكرها القرآن الكريم في مواضع متعددة تمت الإشارة إلى بعضها.

الحقيقة الثانية: العذاب في الدار الآخرة، حيث إن الإنسان في الآخرة سيحاسب على ما في نفسه وقلبه وما كسبت يداه.

كما قد يطبق الإجراء الدنيوي على مستحقه وإن تاب، باعتباره حكماً من الأحكام الشرعية، ولكنه إذا تاب يتوب الله عليه، ويخفف عنه عذاب الآخرة أو يرفعه عنه، ومن هذه الموارد:

لو قتل إنسان إنساناً آخر، فجزاؤه في الدنيا هو القصاص منه لو أختاره أولياء الدم، ويقتل القاتل وإن تاب إلى الله سبحانه وتعالى، وندم ندماً شديداً على ما أرتكبه، وحتى لو كانت هذه التوبة قبل تمكّن أولياء الدم منه، فلا تجديه نفعاً في رفع الحكم الشرعي المترتب عليه في هذه الدنيا، ولكنها تنفعه عند الوقوف أمام الله في الآخرة، فإن قبل الله توبته خفف عنه أو رفع عنه ما استحقه من العقاب، حيث يتناسب العقاب الأخروي الذي أعده الله تبارك وتعالى للقاتل حسب الظروف المحيطة به من توبة وإقبال على الله عزّ وجل.

وهكذا الحال بالنسبة لبقية الذنوب والجرائم التي يرتكبها الإنسان، والتي قد وضع لها الشارع المقدس حدوداً، وعيّن لها تعزيرات معينة، وهذه الحدود والتعزيرات ستجري على الإنسان في الدنيا، كما سيذوق عقوبتها في الدار الآخرة إلا إذا تاب، وعندها قد يعفو الله عنه.

وفي هذا المقطع إشارة إلى أن أمام أولئك اليهود عقوبتين:

الأولى: عقوبة الدنيا.

الثانية: عقوبة الآخرة. وهي الأشد، ووفق هذا جاء التعبير القرآني:

﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

فعقوبة الدنيا أشدها القتل، وأما عقوبة الآخرة فهي أشد من الإخراج والقتل. كما تؤكد الآيات الكريمة على أن العالم الآخر له أحكامه المستقلة عن هذا العالم، وهي تترتب حسب ظروف الإنسان، وما تنتهي إليه حياته في الدار الدنيا، ويتم تنفيذ تلك الأحكام عندما يموت وينقطع عمله، ويقف أمام الواحد القهار حاملاً عواقب ما ارتكب على ظهره.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عواقب أمورنا على خير ويختم لنا به، إنه على كل شيء قدير.

الاستفادة الرابعة: الحكم الإلهي بالقطع

تناول المقطع الشريف الإذن بقطع الأشجار، وهو حكم شرعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية الجهاد، حيث يتضمن هذا الإذن حكماً من أحكامه، قد يبتلي به المجاهدون في مختلف العصور والأزمنة.

ومن هنا قد يطرح سؤال حول جواز قطع الأشجار في العمليات الجهادية والعمليات الحربية، ولكن قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ صريح في أن القطع المذكور كان مأذوناً به من قبل الله سبحانه وتعالى، مما يعني انه حكم الهي لم يتخذه الرسول كقائد سياسي أو قائد عسكري يقود عملية من العلميات العسكرية، فهو حكم من أحكام الجهاد في سبيل الله، على أن الرسول ﷺ لا يقوم بعمل من الأعمال إلا إذا كان هذا العمل مأذوناً به من قبل الله سبحانه وتعالى.

فالحكم: تارة يكون نصاً مباشراً من قبل الله سبحانه وتعالى، وأخرى يكون بقرار من النبي ﷺ ولكن ضمن الخطوط العامة التي وضعها الله سبحانه وتعالى أمام الرسول، وما ورد في هذه الآية الشريفة يدل على أن

الحكم بالقطع من النحو الأول، فكان قراراً إلهياً وبنص إلهي.

خلفية الحكم الشرعي

عند صدور القرار الإلهي يتحتم إجراؤه، ولا ينبغي السؤال عن خلفيته أو علته: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]؛ لأنه مالك السماوات والأرض، وله حق التصرف في كل الموجودات، وهناك بحث وكلام بين المسلمين حول تعلق الأحكام الشرعية بالمصالح والمفاسد. والرأي الصحيح فيها أن الأحكام الشرعية بأجمعها نابعة من المصالح والمفاسد الواقعية، ويعني هذا: أن الأحكام الشرعية تتطابق مع المصالح والمفاسد المرتبطة بحياة الإنسان وبوجوده وبمجتمعه، فالأوامر الشرعية ـ من وجوب واستحباب، بل وحتى الإباحات ـ تابعة لمصالح موجودة في متعلقاتها، وهكذا النواهي الشرعية ـ من الحرمة والكراهة ـ تابعة لمفاسد موجودة في متعلقاتها.

فالنهي عن شرب الخمر مثلاً توجد في متعلقه (شرب الخمر) مفسدة، ونتيجة لوجودها جاء النهي عن شربه، وهكذا النهي عن الزنا، ولا تختلف المسألة في الأوامر، فالأمر بالصلاة ينشأ عن وجود مصلحة في الصلاة، وعلى أساس وجودها جاء الأمر بها، ومثله الأمر بالزكاة والخمس والحج والصوم وغير ذلك من المتعلقات.

إذن فالأوامر والنواهي الإلهية تابعة للمصالح والمفاسد الموجودة في متعلقاتها وهذا هو مقتضى عدل الله تعالى وحكمته ورحمته، ومقتضى علمه المطلق، فمقتضى مجموع تلك الصفات الثابتة للحق سبحانه وتعالى هو أن تكون الأحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية الموجودة في متعلقات تلك الأحكام.

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

وعلى أساس ما تقدم يمكن السؤال عن المصلحة الموجودة في حكم (الأذن بقطع الأشجار) وليس السؤال هنا عن المصلحة الواقعية؛ لأننا قد نجهلها بشكل مطلق أو لفترة من الزمن، ثم تتبين بعد ذلك نتيجة الأبحاث الكثيرة التي يقوم بها بعض العلماء، كما نشاهد ذلك في كثير من الأحكام الشرعية عندما وردت في زمن النبي ﷺ ـ خصوصاً من المستحبات والمكروهات ـ لم يكن هناك فهم لمصالحها، إلا أنه بعد التقدم في البحوث العلمية المتطورة أدرك الإنسان المصالح في متعلقات هذه الأحكام الشرعية. ومع كل ذلك عندما نفسر حكماً شرعياً بمصلحة معينة؛ إنما ذلك يكون بمقدار إدراكنا، فقد تكون المصالح في نفس الأمر والواقع أعمق مما نذكره أو ندركه، وما نأتي به فهو على سبيل الاحتمال.

مصلحة القطع

ويمكن بناءً على هذا ملاحظة عدة مصالح للحكم الشرعي بالقطع:

المصلحة الأولى: أن النبي ﷺ حاول من خلال عملية القطع هذه، الضغط على الأعداء من أجل أن يستسلموا للحق، ويلتزموا بقرار الخروج من ديارهم، وإن كان قطع الأشجار ـ التي قد يكون لها دور في إنتاج الثمار ـ يؤدي إلى شيء من المفسدة، ولكن الضغط بهذا النحو فيه مصلحة أكبر من تلك المفسدة، تتجسد بتجنب النبي ﷺ والمسلمين المزيد من سفك الدماء، والتخريب، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الأعداء صاروا يريدون تدمير كل شيء.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ وبالتالي من خلال هذا الضغط يمكن أن يستسلموا للحق ويلتزموا بقرار رسول الله ﷺ في الخروج من ديارهم وبذلك يتم حفظ الدماء والأموال التي كانت في معرض الخطر، وهذا العمل فيه مصلحة كبيرة بالنسبة إلى مجموع الحالة الاجتماعية.

المصلحة الثانية: أن النبي ﷺ بهذه العملية كان يمنع الأعداء من التستر بهذه الأشجار واتخاذها قاعدة لممارسة العدوان ضد جيش المسلمين، فبهذا القطع أصبحوا مكشوفين، وبالتالي يمكن أن يكونوا هدفاً سهلاً للعمليات العسكرية التي يقوم بها ﷺ ضدهم.

ومن هنا نجدهم قد أصبحوا نتيجة ذلك في وضع حرج، دفعهم إلى التسليم للقرار الإلهي الذي صدر من رسول الله ﷺ.

ومن الواضح أنهم لو تستروا بهذه الأشجار لكان من الممكن أن ينزلوا الأذى بالمسلمين، وأن يلحقوا الضرر بهم، ومن الأحكام الشرعية المسلمة بين جميع المذاهب الإسلامية، والتي أقرتها القوانين الدولية في العمليات الحربية أيضاً، هو أن الأعداء لو تستروا بالأبرياء حتى لو كانوا مسلمين، يجوز للمسلمين قتلهم مع الذين تستروا بهم؛ لأن إنهاء العمليات الحربية أهم بكثير من قتل هذا العدد المحدود من الناس، إذ في إدامة الحرب وبقائها المزيد من الضرر على المجتمع.

وهذه النظرة في الواقع تعبّر عن خلفية مهمة في فهم الإسلام لقضية الحرب، وهي أن الإسلام يرى أن الأمن والاستقرار يمثل أهم نقطة في حياة الناس، وفي حياة الرسالة الإسلامية أيضاً، لأن المجتمع لا يمكن أن يتطور بدون أن يستتب الأمن والاستقرار، ومن هنا شرّع الإسلام أشد العقوبات والإجراءات بالنسبة لأولئك الذين يهددون الأمن والاستقرار، وباعتبار أن اليهود هددوا أمن واستقرار المجتمع الإسلامي، بمحاولتهم اغتيال رسول الله ﷺ ونقضهم للمواثيق والعهود، وتمردهم وعصيانهم، فإنهم بذلك قد ارتكبوا أعظم جريمة في حق المجتمع الإسلامي، وحق الرسالة أيضاً، فالرسالة لا يمكنها أن تتطور ولا تنتشر بين الناس، وتجد إقبالاً منهم، إذا كانت الأوضاع غير مستقرة وغير آمنة، ومن هنا كان رسول الله ﷺ يسعى

دائماً لإيجاد حالة من الأمن والاستقرار بالنسبة إلى المجتمع والرسالة.

المصلحة الثالثة: أن في قطع الأشجار أثر تأديبي، قد أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ بمعنى أن نفس إذلال الفاسقين وإدخال حالة الخوف والرعب في نفوسهم، وجعلهم في معرض الذل، فيه مصلحة؛ لأن له أثر تأديبي على الآخرين الذين يفكرون بنقض العهود أو الإخلال بأمن واستقرار المجتمع.

ملاحظة أخيرة

بقيت الإشارة إلى نقطة مهمة في بيان خلفية هذا الحكم الشرعي، هي أن هذه الإجراءات كقطع الأشجار وما شابهها، لا بد أن تصدر بسبب هكذا مصالح لا أن يكون سببها الانتقام أو الحقد أو التعبير عن الأحاسيس والعواطف أو إيجاد حالة من الفوضى والاضطراب؛ لأن كل هذه الخلفيات هي خلفيات مرفوضة في المجتمع الإسلامي، ويمكن أن نفهم هذا في مثل حكم المثلة، عندما نقارنه بعملية التشريح التي تنفذ في مجتمعاتنا المعاصرة، فإن المثلة التي هي عبارة عن تقطيع أوصال الميت تعبيراً عن الحقد والانتقام محرمة بشكل مطلق، أما عندما يكون تقطيع الأوصال لأسباب أخرى من قبيل كشف الحقائق مثلاً أو الدراسة للتعرف على دقائق وفيزلوجيا الجسم الإنساني وتنظيمه، عندئذٍ تكون محللة حسب الشروط والضوابط التي ذكرها الفقهاء، فلما كانت المثلة عملية تقطيع ناشئة عن الحقد كانت محرمة، ولما كانت عملية التقطيع ناشئة عن سبب آخر فيه مصلحة كانت محللة.

كذلك عملية تقطيع الأشجار فمتى ما كانت ناشئة عن مثل تلك المصالح التي أشرنا إليها كانت مأذوناً بها من قبل الله سبحانه وتعالى، ومتى ما كانت ناشئة عن الحقد والانتقام والتعبير عن المشاعر والعواطف والأحاسيس الفوضوية كانت محرمة مرفوضة.

المقطع الثاني

الفيء

قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

يدور البحث في آيات المقطع حول قضية الفيء، من جهة أصل حكمه وتقسيمه، والأصناف التي يصرف فيها، وعلة هذا التقسيم.

مضافاً إلى إبراز بعض الإشارات القرآنية اللطيفة والرائعة المرتبطة بقضايا أخلاقية وروحية وتربوية، وقضايا ذات بعد اقتصادي مهم، ترتبط جميعها بالمحور الأساس للمقطع (الفيء).

وسيتم البحث في جهات ثلاث:

الجهة الأولى: بحث المفردات

تضمنت آيات المقطع مجموعة من المفردات بحاجة إلى بيان:

المفردة الأولى: مفردة (الفيء) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾.

ذكر اللغويون: أن الفيء أصله من الرجوع، كما عليه الراغب الأصفهاني في مفرداته[١]، وابن منظور في لسان العرب[٢].

ثم أستخدم الفيء في الظل، لكن لا في كل ظل، بل في خصوص الظل الذي يرجع؛ لأن الشمس عندما تطلع، فإنها تشرق على منطقة معينة من الأرض، ثم تبدأ بالزوال عنها، ويبدأ الظل يعود إلى تلك المنطقة التي كانت مشمسة، وهذا الظل الراجع بعد زوال الشمس يسمى فيئاً، ومن هنا يتضح سبب تسميته فيئاً إذ إنه يمثل حالة رجوع للظل الأول الذي كان موجوداً قبل شروق الشمس، ولذا قال صاحب تاج العروس[٣]: ((**قيل للظل الذي يكون بعد الزوال فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق**)).

وهناك احتمال ثان يرى: أن الفيء هو ما نسخ الشمس بلا رجوع[٤].

وفي المقام احتمال ثالث: أن الفيء هو الغنيمة[٥]، وعليه يكون الفيء نوعاً من أنواع الغنائم، يشمل كل ما يكسبه الإنسان، سواء كان بجهد وعناء أو بحرب وقتال أو بدونهما.

وقيدها بعضهم كالراغب الأصفهاني[٦]، بما لا يكون في الحصول عليها مشقة، وليس جميع الغنائم من هذا القبيل، فلذا يطلق الفيء على خصوص الغنائم التي يحصل عليها النبيﷺ بدون قتال أو عناء، فيشمل تلك المناطق التي أخلاها الأعداء بسبب خوفهم من مواجهة المسلمين،

---

(١) مفردات غريب القرآن: ٣٨٩.

(٢) لسان العرب١: ١٢٥.

(٣) تاج العروس١: ٢١٤.

(٤) لسان العرب١: ١٢٥ عن ابن السكيت.

(٥) الصحاح١: ٦٣.

(٦) مفردات غريب القرآن: ٣٨٩.

فيسمى كل ذلك في اللغة فيئاً.

وذكر أيضاً: أن الغنيمة إنما سميت بالفيء بمعنى الظل، تنبيها إلى قضية معنوية، هي: أن الغنيمة التي هي أشرف مال يحصل عليه الإنسان، حالها كالظل، فكما أنه يزول ولا يبقى، كذلك هي تزول ولا تبقى مع أنها أشرف مال، وهذا هو شأن الدنيا كلها.

المفردة الثانية: مفردة (الايجاف) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾.

الايجاف لغة: السير السريع[١]، والوجف هو حالة الاضطراب[٢]، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾[٣]. ولعل تسمية السير السريع بالايجاف مأخوذة من حالة الاضطراب؛ باعتبار أن الدابة أو الفرس إذا سارت سيرا وجيفا أي سيرا سريعا، سيحصل فيها نوع من الاضطراب، ولهذه المناسبة سمي هذا النوع من السير وجيفا.

وذكر أهل اللغة: أن الوجيف ضرب من سير الخيل والإبل، وهو دون التقريب الذي هو أسرع من ذلك، ووجف الفرس أسرع، وأوجفته حثثته[٤].

وهذه المفردة وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي في هذه الآية الشريفة، فتكون من المفردات النادرة الاستعمال في القرآن الكريم، واشتق منها لفظ واحد فقط، وهو (الوجيف) وجاء في قوله تعالى: ﴿**قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ**

---

(١) النهاية لابن الاثير٥: ١٥٧.

(٢) الصحاح٤: ١٤٣٧.

(٣) النازعات: ٨.

(٤) الصحاح٤: ١٤٣٧.

وَاجِفَةٌ﴾[١].

المفردة الثالثة: مفردة (الركاب) الواردة في قوله تعالى: ﴿**فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ**﴾.

الركاب لغة: مأخوذ من الركوب[٢]، ويراد من الركاب الإبل، باعتبار أن الركاب يستخدم للركوب وفي كل شيء يركب، ولما كان المتعارف عند العرب في ذلك العصر هو ركوب الإبل، أطلقت هذه المفردة في العرف واللغة على خصوص الإبل، فعندما يقال ركاب يراد منه الإبل، كما إذا قيل سيارة، فبحسب المتخاطب العرفي يراد منها الآلة الخاصة المعهودة، وإن كانت كلمة سيارة بحسب اللغة تطلق على كل شيء يسير، وهكذا الركاب وإن كان بحسب اللغة يطلق على كل مركوب، ولكن بحسب المتعارف في عصر نزول القرآن يطلق على خصوص الإبل؛ لأنها هي التي تعارف امتطاؤها للسير البعيد. وجمعه ركب وركبان وركوب. وهذه الكلمة وردت مرة واحدة في الاستعمالات القرآنية وهي في هذه الآية الشريفة.

المفردة الرابعة: مفردة (الفيء) الواردة في قوله تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾.

لقد تقدم معنى الفيء ولكن البحث هو هل أن الفيء في هذه الآية الشريفة يراد منه نفس ما أريد منه في الآية السابقة: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ**﴾ أو أن المراد منه هنا غير المراد منه هناك؟ خصوصاً وأن هذه الآية الشريفة لم تبدأ بالعطف، وإنما بدأت وكأنها تستأنف شيئاً جديداً؟

---

(١) النازعات: ٨.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٢٠٢.

ونتيجة للخصوصية المشار إليها في الآية اختار بعض المفسرين[١] الثاني مدعياً: أن المراد من الفيء هنا عموم الجزية والخراج، فالجزية والخراج، هي الأموال التي يحصل عليها المسلمون عن طريق الضريبة التي يفرضونها على أهل الكتاب، أو من خلال الطسق[٢] بما يحصل عليه المسلمون من الأراضي الخراجية عندما يستثمرها غيرهم، وعندئذٍ تكون ملكيتهما عامة للمسلمين، وبالتالي يكون معنى الفيء هنا غير معناه في الآية السابقة؛ حيث كان معناه هناك الأموال التي يحصل عليها النبيﷺ بسبب انسحاب المشركين أو الكفار عن أموالهم وتخليهم عنها طوعاً.

وهناك احتمال آخر مبتني على أن المقصود من الفيء في هذه الآية غير الفيء في الآية السابقة، وهو أن المراد به هنا مطلق الغنيمة التي يحصل عليها المسلمون، وبالتالي تستأنف هذه الآية الشريفة أمراً جديداً، وهو بيان مصارف الغنيمة، أي غنيمة كانت، فيكون التقسيم بالشكل الذي تشير إليه الآية الشريفة.

ولكن السياق العام يجعل الآية ظاهرة في أن المراد من الفيء هنا نفس المراد منه في الآية السابقة، غاية الأمر أن القرآن أشار إلى أصل حكم الفيء، وكونه مملوكاً للرسول لا للمسلمين، مع بيان الفرق بينه وبين الغنيمة، فالغنيمة ما كانت بإيجاف الخيل والركاب، أما الفيء فما لم يوجف

---

(١) حكى ذلك ابن جرير في جامع البيان ٢٨: ٤٧ ــ ٤٨.

(٢) الطسق: أداء الأجر، يشبه الخراج ولكن له مقدار معلوم وهذا اللفظ ليس بعربي خالص. وبعبارة أخرى هو ما يوضع من الوظيفة على الجريان ــ جمع جريب ــ من الخراج المقرر على الأرض، وهو فارسي معرب من تسك.راجع الصحاح٤: ١٥١٧، والسرائر٢: ٤٤٨.

عليه بخيل ولا ركاب، وبالتالي فالآية السابقة تبين أصل حكم الفيء، وهذه الآية تتعرض لبيان موارد تقسيمه، فتبيَن أن المراد من الفيء هنا هو تلك الأموال التي لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب، وتقسّم بالطريقة الخاصة المبينة في هذه الآية الكريمة.

المفردة الخامسة: مفردة (أهل القرى) الواردة في قوله تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**﴾.

وقع كلام بين المفسرين في المراد من أهل القرى.

فاختار بعضهم: أن المراد من أهل القرى هم بنو النظير الذين وقعت هذه الواقعة في ديارهم[1]، وبالتالي فيراد من الفيء خصوص الأموال التي حصل عليها النبيﷺ من بني النظير.

وذهب آخرون إلى أبعد من ذلك، قائلاً: إن المراد من القرى قرى بني النظير وبني قريضة الذين قد استولى النبي على قراهم وأموالهم[2].

وبعضهم كابن عباس[3] ذهب إلى أن المراد من أهل القرى أهل كل القرى التي استولى عليها النبيﷺ في جميع حياته، سواء كانت قرى بني النظير أو بني قريضة التي كانت قريبة من المدينة أو فدك التي هي على ثلاثة أيام منها أو قرى خيبر التي استولى عليها النبيﷺ من خلال المعارك التي وقعت في خيبر، حيث انسحب اليهود بعد المعركة الأولى الرئيسية في خيبر

---

(١) التبيان٩: ٥٦٤، فقه القرآن١: ٢٥١، وأضاف السمرقندي إلى بني النظير فدكاً في تفسيره٣: ٤٠٤ــ٤٠٥.

(٢) ونقله السمرقندي في تفسيره ٣: ٤٠٥.

(٣) حكاه صاحب المجمع عن ابن عباس٩: ٤٣٠، واختاره مقاتل في تفسيره٣: ٣٣٩. وابن الجوزي في زاد المسير٧: ٣٣٦، والزركشي في البرهان٣: ١٥٣.

عن كل القرى المجاورة لخيبر، أو القرى التي انسحبوا عنها بعد ذلك، كما هو الحال في بعض قرى ينبع، وكل ما انسحب عنه اليهود والمشركون وأهل الكتاب طوعاً يدخل في عنوان أهل القرى. ولا يبعد هذا الوجه؛ لأن ظاهر العموم في هذه الآية الكريمة أو ظاهر الإطلاق فيها يشمل كل قرية انسحب عنها أولئك، ولا يصح اختصاصها بقرى بني النضير أو قرى بني قريضة.

المفردة السادسة: مفردة (ذوي القربى) الواردة في قوله تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾.

اختلف المفسرون في المراد من ذوي القربى على آراء، وهي:

الرأي الأول: هو كل ذي قرابة من عامة المسلمين[١]، فيكون المقصود من ذوي القربى ذوي الأرحام، ويستشهد أصحاب هذا الرأي بآيات عديدة من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ**﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[٥].

---

(١) تفسير البحر المحيط٦: ٢٧.

(٢) الإسراء:٢٦.

(٣) الروم:٣٨.

(٤) البقرة:١٧٧.

(٥) البقرة:٢١٥.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾[١].

الظاهر من هذه الآيات الكريمة أن المراد من أولي القربى و ذوي القربى هم ذوي الأرحام، أي الأشخاص الذين تمتّون للإنسان بقرابة ورحم.

الرأي الثاني: أن المقصود من ذوي القربى هم ذوي قربى رسول الله ﷺ لا ذوي قربى عامة المسلمين.

وأختلف الذاهبون إلى هذا الرأي في تحديد قرابة رسول الله ﷺ.

فبعضهم ذهب إلى أن المقصود: عامة بني عبد المطلب وعامة بني هاشم[٢].

وبعض آخر ذهب إلى أنه مخصوص بخصوص بني هاشم[٣].

وذهب آخرون إلى أنه مخصوص بالأخص من ذلك، وهم أهل البيت عليهم السلام أي أولئك الذين عرّفهم الرسول ﷺ كأهل بيته، وهم: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأولادهم[٤]

---

(١) النور: ٢٢.

(٢) التفسير الكبير ٢٩: ٢٨٥، وتفسير الثعلبي٩: ٢٧٤.

(٣) منهم الطبرسي في جوامع الجامع٣: ٥٣٣، وحكاه الراوندي عن ابن عباس ومجاهد في فقه القرآن١: ٢٤٤.

(٤) كالراوندي في فقه القرآن١: ٢٤٤و ٢٥١، قال: ((أن المراد بذي القربى من كان أولى من أهل بيته في حياته، وبعد النبي هو القائم مقامه)) وأختاره القرطبي حيث قال: ((في رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لما أنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودهم؟قال: علي وفاطمة وأبناؤهما.ويدل عليه أيضا ما روي عن علي رضي الله عنه قال: شكوت إلى النبي ﷺ حسد الناس لي. فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن ⇦

وهذا البحث في الواقع من بين الأبحاث الفقهية التي يتناولها الفقهاء بشكل تفصيلي، أما على مستوى البحث القرآني، فلا يبعد أن يكون المراد من ذوي القربى - في موارد تقسيم المال الذي ذكره القرآن كمال مملوك للدولة، مملوك للرسول، مملوك للإمام - هم قرابة رسول الله ﷺ أي الرأي الثاني لخصوصيتين:

الأولى: لما بيّن القرآن الكريم أن هذا المال مملوك للرسول أردفه بذكر ذوي القربى، فيظهر من ذلك أنهم ذوي قربى رسول الله ﷺ بخلاف الآيات الأخرى التي تتحدث مع المسلمين بشكل عام؛ فإنها عندما تتحدث عن ذوي القربى، تقصد قربى المسلمين وأرحامهم، وهكذا عندما تتحدث عن الإنسان بشكل عام، فإنما تقصد ذوي قربى ذلك الإنسان.

أما في آية الخمس[1] وفي الآية التي نحن بصددها، فالظاهر أن المراد من ذوي القربى هم قربى رسول الله ﷺ بقرينة اتصال كلمة ذوي القربى بكلمة الرسول في الآية ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾ وإلاّ فلا معنى أن يكون المراد من ذوي القربى ذوي قربى عامة المسلمين؛ لأن هذا المال هو ملك للنبي ﷺ وهو مأمور في التصرف به كيفما يراه مناسباً، فلا معنى حينئذٍ لأن يقال له: أعطه ذوي قربى المسلمين.

والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا.

وعن النبي ﷺ: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة)). تفسير القرطبي ١٦: ٢١ــ ٢٢.

(١) قوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ الأنفال: ٤١.

أما من هم ذوي قربى رسول الله، فهناك روايات عديدة تشخصهم، ولعلها تتردد بين بني هاشم بشكل عام وخصوص أولاد علي عليه السلام الذين هم أقرب إلى الرسول صلى الله عليه وآله من عموم بني هاشم.

الثانية: الروايات الواردة في تفسير هذه الآيات الشريفة، وفي تفسير آية الخمس، تدل على أن المقصود من ذوي القربى هم أهل البيت عليهم السلام ولما كانت هذه الروايات العديدة واردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام وأهل البيت أدرى بالذي فيه، فهم أعلم بالقرآن الكريم وبتفسيره وبفهمه، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في مقام تعريفه لعلي أمير المؤمنين عليه السلام بأنه باب مدينة علمه[1]، وأنه عليه السلام أقضى المسلمين[1]، وأنه عليه السلام أعلم المسلمين، ولقد أجمع

---

(١) لقد استفاضت الروايات في هذا المعنى، بل تواترت عند العامة والخاصة ورويت بطرق عدة، ومنها:

عن الحسن السبط الأول للرسول، حيث قال: **((سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها))**. أمالي الصدوق:٤٢٥، التوحيد:٣٠٧.

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب))** قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. راجع المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٦ــ ١٢٧، وكنز العمال١١: ٦٠٠،ح٣٢٨٩٠، وفي أسد الغابة٤: ٢٢، وفي متن فيض القدير٣: ٦٠، وميزان الإعتدال٢: ٢٥١.

وفي رواية عن جابر بن عبد الله قال: **((سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي عليه السلام يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله ــ يمد بها صوته ــ أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد البيت فليأت الباب))** تاريخ بغداد٣: ١٨١.

وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وآله له عليه السلام: **((وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي))** المناقب للخوارزمي:٨٥.

المسلمون على أن علياعليه السلام هو أعلم الناس بتفسير القرآن الكريم بدون أي شك في ذلك، وبدون أي مخالف فيه من العلماء[٢].

---

(١) روى الكليني رحمه الله عن سعيد بن أبي الخضيب البجلي قال: ((كانت لي مع ابن أبي ليلى مزاملة حتى جئنا إلى المدينة، فبينا نحن في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله إذ دخل جعفر بن محمد عليه السلام فقلت لابن أبي ليلى: تقوم بنا إليه فقال: وما نصنع عنده؟ فقلت: نسأله ونحدثه، فقال: قم، فقمنا إليه، فسائلني عن نفسي وأهلي، ثم قال: من هذا معك؟ فقلت: ابن أبي ليلى قاضي المسلمين فقال له: أنت ابن أبي ليلى قاضي المسلمين؟ قال: نعم، قال: تأخذ مال هذا فتعطيه هذا؟ وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه؟ لا تخاف في ذلك أحدا؟

قال: نعم.

قال: فبأي شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وعن أبي بكر وعمر.

قال: فبلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إن علياعليه السلام أقضاكم؟

قال: نعم.

قال: فكيف تقضي بغير قضاء علي عليه السلام، وقد بلغك هذا، فما تقول إذا جيئ بأرض من فضة وسماء من فضة، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربك فقال: يا رب إن هذا قضى بغير ما قضيت؟

قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى حتى عاد مثل الزعفران، ثم قال لي: التمس لنفسك زميلاً، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبدا)). الكافي٧: ٤٠٨ – ٤٠٩،ح٥.

(٢) قال ابن حجر: ((قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به. وقال معن عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله، فو الله ما من آية إلا وأنا اعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: لم كان صغو الناس إلى علي بن أبي طالب؟ فقال: يا ابن أخي، إن علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر برسول الله صلى الله عليه وآله، والفقه في ⇦

السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون)). تهذيب التهذيب ٧: ٢٩٧.

قال ابن الأثير: ((قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب، وروى يحيى بن معين عن عبدة بن سليمان عن عبد الملك بن سليمان. قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟

قال: لا والله لا أعلمه.

وقال ابن عباس: لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر.

وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عم، لم كان صغو الناس إلى علي؟ قال: يا ابن أخي، إن علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول اللهﷺ، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود بالماعون)). أسد الغابة ٤: ٢٢.

قال الأيجي: ((إن فضيلة المرء على غيره إنما تكون بما له من الكمالات، وقد اجتمع في علي منها ما تفرق في الصحابة، وهي أمور:

الأول: العلم وعلي أعلم الصحابة؛ لأنه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم، ومحمدﷺ أعلم الناس و أحرصهم على إرشاده، وكان في صغره في حجره، وفي كبره ختنا له، يدخل عليه كل وقت، وذلك يقتضي بلوغه في العلم، كل مبلغ، وأما أبو بكر فاتصل بخدمته في كبره، وكان يصل إليه في اليوم مرة أو مرتين، ولقولهﷺ ((أقضاكم علي)) والقضاء يحتاج إلى جميع العلوم.

ولقوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ وأكثر المفسرين على أنه علي، ولأنه نهى عمر عن رجم من ولدت لستة أشهر، وعن رجم الحاملة. فقال عمر لولا علي لهلك عمر.

ولقول علي ((**لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت**)).

ولأن علياً ذكر في خطبته من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر ما لم يقع مثله في كلام الصحابة، ولأن جميع الفرق ينتسبون إليه في الأصول والفروع، وكذا المتصوفة في علم تصفية الباطن، وابن عباس رئيس المفسرين تلميذه، وكان في الفقه والفصاحة في الدرجة القصوى.

⇦

وعندما نأتي إلى الروايات الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام نجدها تؤكد على أن المقصود من ذوي القربى هم أهل البيت، فيتحتم حينئذ الأخذ بما ورد فيها.

المفردة السابعة: مفردة (دولة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾.

ذكر أهل اللغة أن المراد من دولة : هو الشيء المتداول[1]، وأحياناً تطلق

وعلم النحو إنما ظهر منه، وهو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بتدوينه، وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة وكذا علم الفتوة والأخلاق.

الثاني: الزهد، اشتهر عنه أنه مع اتساع أبواب الدنيا عليه، ترك التنعم وتخشن في المأكل والملابس حتى قال للدنيا:طلقتك ثلاثا.

الثالث: الكرم، كان يؤثر المحاويج على نفسه وأهله، حتى تصدق في الصلاة بخاتمه، ونزل ما نزل وتصدق في ليالي صيامه المنذور بما كان فطوره ونزل فيه: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾.

الرابع: الشجاعة، تواتر مكافحته للحروب، ولقاء الأبطال، وقتل أكابر الجاهلية، حتى قال صلى الله عليه وآله يوم الأحزاب: ((**لضربة علي خير من عبادة الثقلين**)) وتواتر وقائعه في خيبر وغيره.

الخامس: حسن خلقه حتى نسب إلى الدعابة.

السادس: مزيد قوته حتى قلع باب خيبر بيده، وقال: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية لكن بقوة إلهية.

السابع: نسبه وقربه من الرسول نسبا ومصاهرة، وهو غير خفي، وعباس وإن كان عم النبي صلى الله عليه وآله لكن كان أخا عبد الله من الأب، وأبو طالب أخاه من الأب والأم.

الثامن: اختصاصه بصاحبة كفاطمة، وولدين كالحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ثم أولاد أولاده ممن اتفق الأنام على فضلهم على العالمين، حتى كان أبو يزيد سقّاء في دار جعفر الصادق عليه السلام، ومعروف الكرخي بوّاب دار علي بن موسى الرضا)). المواقف ٣: ٦٢٧ ــ ٦٢٩.

(١) مفردات غريب القرآن:١٧٤.

على حالة التداول.

والتداول يراد منه كون الشيء دائراً ومتحولاً من حال إلى حال، أو من يد إلى يد، أو من قوم إلى قوم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[١].

وقال بعضهم: إن الدولة هي انقلاب الشيء من حالة البؤس والضر والشدة إلى حالة الغبطة والسرور والرخاء[٢]، فيفترض أن التبدل إن تم إلى الأفضل و الأحسن يكون دولة.

وقد تطلق دولة على نفس المال المتداول إذا كان بالضم، وأما إذا كان بالفتح فيراد منه الحرب[٣]، ومن هذه الاطلاقات نفهم معنى إطلاق دولة على الكيان السياسي المتعارف في زماننا، فبما أن المال والقدرة والحرب بيده سمي دولة.

المفردة الثامنة: مفردة (ما آتاكم الرسول) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

ذكر بعض المفسرين أن المراد من هذه المفردة: يعني ما آتاكم الرسول من أمر في هذا الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه في أمره فأنتهوا عنه[٤].

---

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) والدولة: الانتقال من حال الشدة إلى الرخاء. راجع لسان العرب ١١: ٢٥٢

(٣) قال الجواهري: ((والدولة بالضم، في المال، ويقال: صار الفئ دولة بينهم يتداولونه، يكون مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول. وقال أبو عبيد: الدولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه. والدولة بالفتح: الفعل. وقال بعضهم: الدولة والدولة لغتان بمعنى)). الصحاح ٤: ١٦٩٩ـ١٧٠٠.

(٤) كالطبرسي في مجمع البيان ٩: ٤٣٢، والراوندي في فقه القرآن ١: ٢٥١، الزمخشري في كشافه ٤: ٨٢.

وعمّم بعضهم ذلك؛ ليشمل الأوامر والنواهي التي يصدرها رسول الله ﷺ في الموارد المختلفة[١].

وظاهر سياق الآية أن المقصود هو عموم الأوامر والنواهي، والأمر والنهي في موضوع الفيء بشكل خاص هو مصداق للأوامر والنواهي العامة الصادرة من رسول ﷺ، وكأن القرآن الكريم بقوله: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ أراد بيان قاعدة عامة تنطبق على هذا المورد (قضية الفيء).

المفردة التاسعة: مفردة (الفقراء) الواردة في قوله: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ**﴾.

الفقير معناه عرفاً واضح، وأما تحديد مفهومه شرعاً، فقد دلت بعض الآيات القرآنية[٢] والأحاديث الواردة عن المعصومين[٣] على أن المقصود

---

(١) ذكر ابن العربي ثلاثة أقوال في ذلك، وهي:

((الأول: ما أعطاكم من الفيء وما منعكم منه فلا تطلبوه.

الثاني: ما آتاكم من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الغلول فلا تأخذوه.

الثالث: ما أمركم به من طاعتي فافعلوه وما أنهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه.

وهذا أصح الأقوال وعليه أكثر المفسرين)). أحكام القرآن٤: ٢١٥

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾. البقرة:٢٧٣.

(٣) ومن الروايات: روى سماعة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **((سألناه عن الرجل لا يكون عنده إلا قوت يومه، ومنهم من عنده قوت شهر، ومنهم من عنده قوت سنة، أيعطف من عنده قوت يوم على من ليس عنده شئ؟ ومن عنده قوت شهر على من دونه؟ والسنة على نحو ذلك؟ وذلك كله الكفاف الذي لا يلام عليه، فقال عليه السلام: هما أمران، أفضلهم فيه أحرصكم على الرغبة فيه والأثرة على نفسه))**. مستدرك الوسائل ٧: ٢١١،ح١.

وعن علي بن إسماعيل الدغشي قال: **((سألت أبا الحسن عليه السلام عن السائل وعنده قوت** ⇦

منه هو الإنسان الذي لا يملك قوت سنته بالفعل أو بالقوة.

أما بالفعل، فهو بأن لا يكون موجوداً عنده من الأموال ما يكفيه لمؤنة سنته سواء النقد أم العين.

ومؤنة السنة تشمل مؤنته ومؤنة أولاده وعياله، مما يصرفه الإنسان بشكل اعتيادي في حياته، فالذي لم يملك من المال ما يستوعب سنة كاملة من مصرفه ـ على نفسه وزوجته وأولاده، وعلى أبويه إن كان يعيلهما، وغيرها من مصاريفه الاجتماعية ـ على النحو المتعارف يعتبر فقيراً بحسب المفهوم الشرعي، فيكون مستحقا لهذا الإنفاق.

وهذا يكشف عن نظرية في الفكر الإسلامي مؤداها: إن الدولة تتكفل الإنسان الفقير في المجتمع الإسلامي، بأن تأمّن له حياة عادية متوسطة، بحيث يصبح قادراً على إعالة نفسه وأهله وأطفاله بشكل اعتيادي.

أما الملك بالقوة، فيقصد منه قدرة الإنسان على العمل، بحيث يتمكن من إعالة نفسه وأهله وأطفاله من خلال عمله ونشاطه الاقتصادي عن طريق ممارسة الأعمال المختلفة، ومن كان هذا حاله لا يعتبر فقيراً، كما لا يجوز له الجلوس في البيت، على أن تنفق عليه الدولة، فينبغي للقادر على العمل استغلال الفرصة إذا أتيحت له، وإن نقص شيء من عمله، فعلى الدولة أن تكمله، لا أن يخلد إلى الراحة والكسل معتمداً على ما تقدم له الدولة من

يوم أيحل له أن يسأل وان أعطى شيئاً من قبل أن يسأل يحل له أن يقبله؟ قال: يأخذه وعنده قوت شهر وما يكفيه لسنة من الزكاة؛ لأنها إنما هي من سنة إلى سنة)). علل الشرائع ٢: ٣٧٢،ح١.

وتناولت كتب الفقه الفقير مفهوما ومصداقاً بشكل مفصّل في بابي الزكاة والخمس من أبواب العبادات، وما ذكره السيدﷺ هو ما توصل إليه أكثرهم بعد الأخذ والرد.

معونة.

المفردة العاشرة: مفردة (الدار) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**﴾.

ذكر بعض المفسرين: أن المقصود من الدار هي دار الهجرة، أي المدينة المنورة، والمقصود من الإيمان هو الإيمان بالله تبارك وتعالى ورسوله[١]، فيكون المراد من قوله تعالى: ﴿**تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**﴾ أي دار الهجرة ودار الإيمان.

وذهب بعضهم إلى أن المقصود من الدار هي المدينة المنورة، والمقصود من الإيمان هو حالة الاستقرار فيه[٢]، وبناء عليه يكون المقصود من التبؤ[٣] الرجوع إلى المدينة والاستقرار فيها، مع إيمان لا يشوبه تذبذب أو نفاق.

المفردة الحادية عشرة: مفردة (حاجةً) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً**﴾.

استخدم القرآن هذه المفردة هنا بمعناها العرفي، ويبقى الكلام في تحديد مصداقها.

---

(١) كابن كثير في تفسيره٤: ٣٦١، والفيض الكاشاني في التفسير الأصفى٢: ١٢٨٥.

(٢) يظهر من كلام الزمخشري في كشافه١: ٥٦٠، والراوندي في فقه القرآن١: ١٧٠، والأندلسي في البحر المحيط٣: ٣٥٥.

(٣) ((التبوء بالأصل إنما يكون للمكان، فكيف قال: تبوؤا الدار والإيمان، وإنما تتبوأ الدار أي تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ ويمكن الجواب على ذلك بوجهين:

الأول: أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان، أي كقولك: فعلفتها تبناً وماءً بارداً، وتقديره:علفتها تبناً وسقيتها ماءً بارداً.

أو يكون ضمن معنى لزموا، واللزوم قدر مشترك في الدار والإيمان، فيصح العطف.

الثاني: أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان مستقرا وموطنا لهم لتمكنهم فيه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك)). التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ١٠٩.

ذكر المفسرون لها مصاديق عديدة، من قبيل الشعور بالحسد، الذي أراد القرآن الكريم نفيه عن الأنصار حينما قسم النبيﷺ الفيء على المهاجرين فقط، ولم يقسم للأنصار باستثناء ثلاثة منهم[١]، ورغم ذلك لم يشعروا بشيء من الحسد تجاههم.

وذكر بعضهم: أن المقصود من الحاجة هو الضيق[٢]، وما يشعر به الإنسان عندما يزاحمه آخرون في السكن، وفي المعيشة، وفي العمل، وفي غيرها من الأمور الاجتماعية.

وفسرها بعضهم بالغيرة، وذكرت لها تفسيرات ومصاديق أخرى[٣].

ولا يبعد أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً**﴾ هو نفي كل هذه الأمور.

أي لا يجدون في صدورهم أي إحساس من الأحاسيس التي توحي بها الحاجة، كالشعور بالفقر أو الحاجة؛ لأن الشعور بالحاجة قد يبعث على الحسد، وقد يشعر بالضيق، وقد يزرع الغيرة، وقد يستلزم الألم، وإلى غير ذلك مما ينتاب الإنسان. فالتعبير هنا بالحاجة أراد القرآن الكريم به نفي كل هذه الأمور بنفي ملزومها وهو الحاجة، ونفي السبب نفي لما قد يترتب عليه من مسببات، وهذا التعبير من التعبيرات الجميلة التي استخدمها القرآن الكريم في مقام نفي هذه الحالات.

---

(١) وهم: أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة.

(٢) حكاه السمعاني في تفسيره ٥: ٤٠١، والرازي في التفسير الكبير٣: ٢٣٨.

(٣) قيل: هي الحزازة (الحزن) والغيظ. الثعلبي في تفسيره٩: ٢٧٨.
وقيل: الاحتجاج. الغرناطي في التسهيل لعلوم التنزيل٤: ١٠٩.
وقيل: الفقر والمحنة. الطريحي في مجمع البحرين١: ٥٩٣.

المفردة الثانية عشرة: مفردة (الخصاصة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾.

الخصاصة في اللغة: هي الفقر[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ أي حتى لو كانوا فقراء، أو محتاجين.

وجاء التعبير القرآني عن ذلك بالخصاصة باعتبارها؛ أما مأخوذة من الفرجة، فخصاصة البيت هي الفرجة الموجودة فيه. والفقر يوجد فرجة في حياة الإنسان يصعب سدها أو من قبيل الخلة.

أو مأخوذة من البيت الذي هو الخص، والخص لغة: هو البيت المبني من القصب[٢]، وباعتباره لا يحمي صاحبه من حر ولا برد، عبّر القرآن عن الحاجة ـ وهي الفقر الذي لا يسد بشيء ـ بالخصاصة.

وكيفما كان فالمقصود من الخصاصة الفقر الشديد الذي لا يوجد ما يسده.

المفردة الثالثة عشرة: مفردة (الشح) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾.

الشح لغة: هو البخل مع الحرص[٣]؛ لأن البخل تارة لا يتسم بالحرص، فلا يعبّر عنه بالشح ولو كان شديداً، وأخرى يتسم به ويتحول إلى ملكة، أو ما يشبهها في نفس الإنسان ووجوده، وهذا ما يعبّر عنه بالشح.

---

(١) لسان العرب٧: ٢٥.

(٢) لسان العرب٧: ٢٦، وجاء فيه: ((**الخص: بيت من شجر أو قصب، وقيل: الخص البيت الذي يسقف عليه بخشبة على هيئة الأرج، والجمع أخصاص وخصاص، وقيل في جمعه خصوص، سمي بذلك لأنه يرى ما فيه من خصاصة أي فرجة**)).

(٣) مفردات غريب القرآن:٢٥٦.

واستعمل هذا التعبير في القرآن الكريم في وصف النفس في قوله تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾[١] وفي مقام وصف المنافقين أحياناً والكفار أحياناً أخرى في قوله تعالى: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً**﴾[٢].

المفردة الرابعة عشرة: مفردة (الغل) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

الغل لغة: العداوة أو الظواغن التي تكون في نفس الإنسان[٣]. والغل مقابل الغُل وهو القيد.

وعبّر القرآن الكريم على لسان الذين جاؤوا من بعد المهاجرين والأنصار بهذا الدعاء: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وهذا في الواقع وصف من أوصاف أهل الجنة، فالله تعالى قد نزع ما في قلوبهم من غل: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ**﴾[٤] وهذه الآية الكريمة، إنما هي دعاء ليتصفوا بهذا الوصف.

الجهة الثانية: البحث التفسيري

نتناول في هذه الجهة تفسير الآيات الكريمة التي يتكون منها المقطع الشريف.

---

(١) النساء:١٢٨.

(٢) الأحزاب:١٩.

(٣) النهاية في غريب القرآن٣: ٣٨١.

(٤) الأعراف:٤٣.

الآية الأولى: ملكية الدولة

قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

تتعرض الآية الكريمة لأحد الأحكام الإسلامية الذي له ارتباط وثيق بالنظرية الاقتصادية في الإسلام، حيث ينصّ على أن نوعاً من الغنائم - وهي التي لم يتم الحصول عليها من خلال الحرب - يعتبر ملكاً للرسول ﷺ أي ملكاً لصاحب المنصب الإلهي المتمثل بالإمامة؛ لأن الرسول ﷺ في الوقت الذي كان فيه نبياً، كان إماماً ورئيساً للدولة يدير شؤونها.

وهذا الأمر يرجع إلى نحو الملكية في النظرية الإسلامية، فالإسلام يراها على ثلاثة أنواع، هي:

النوع الأول: الملكية الخاصة، وهي ما يملكه الإنسان بشكل خاص من قبيل ملكه لما يزرعه أو يغرسه، فيكون مالكاً لأصله ولنتاجه، ومالكه لما يحوزه، كما لو صاد طيراً، أو حاز ماءً بإخراجه من النهر، أو حاز حجراً بأخذه من الأرض، فله أن يتصرف بما حاز ببيع أو غيره.

ومن موارد هذه الملكية ما يغنمه المقاتلون في الحرب[1]، حيث إنهم يملكونه بملكية خاصة، وعليهم إخراج خمسه، حسب الضوابط الشرعية التي ذكرتها كتب الفقه.

النوع الثاني: الملكية العامة، أي الملكية لجميع أفراد الأمة الإسلامية، ومصداقها الأراضي المفتوحة عنوة من قبل المسلمين، فعند قيامهم بعملية غزو وفتح، ستكون عامة الأموال المنقولة مملوكة لهم بالملكية الخاصة،

---

(١) إن كان من الأموال المنقولة.

يتقاسمونها فيما بينهم، ويخرجون خمسها.

أما الأموال غير المنقولة من قبيل الأراضي، فإنها لا تملك بالملكية الخاصة، بل بالملكية العامة، أي لعامة الأمة الإسلامية، ينتفعون من ثمارها ومما تنتجه، ويتداولونها جيلاً بعد جيل.

وتشبه هذه الملكية ملكية الوقف على الذرية، فإنها تكون مالكة لذاك الوقف، ولكن بالملكية العامة[1].

النوع الثالث: ولعله أهم الأنواع، وهو ملكية الدولة أو ملكية الإمام أو ملكية الرسول للأموال، بحيث تكون هذه الأموال مملوكة للرسول بما هو رسول، وللإمام بما هو إمام، وللدولة والكيان السياسي المتمثل بهذا الإمام. ومن مواردها ملكية الفيء، أي الغنائم التي يحصل عليها الرسول ﷺ دون قتال وحرب، حيث تكون ملكاً له، وهكذا الأنفال والمعادن وغيرها من الموارد التي تناولتها كتب الفقه، حيث فصلت الأصناف المملوكة بهذا النوع من الملكية (ملكية الدولة).

والآية الشريفة ـ مورد البحث ـ تشير إلى مفردة من مفردات هذا النوع، وهي الفيء، فهو مملوكاً بهذا النوع من الملكية، وما جاء هنا تأكيد لما ورد في سورة الأنفال من ملكية الرسول للأنفال.

فالقرآن الكريم من خلال هذه الآية الشريفة والآيات المماثلة لها شرّع حكماً شرعيا يرتبط بمجمل النظرية الاقتصادية في الإسلام، وبخصوص مسألة الملكية، وقد تعرضت هذه الآية الشريفة لهذا الحكم الكلي في ضمن نقاط ثلاث، ومن خلال تركيبها نفهم مجمل هذا الحكم الشرعي:

---

(١) أي ليس لهم التصرف به ببيع ونحوه من التصرفات الجائزة في المملوكات بالملكية الخاصة.

النقطة الأولى: أن ملكية الأشياء بالأصل هي لله سبحانه وتعالى، سواء كانت من النوع الأول أم الثاني أم الثالث، فقبل هذا التنوع كانت الملكية لله سبحانه وتعالى، وبعدها تنوعت بهذه الأنواع، ويتضح ذلك من خلال مجموعة من الآيات الشريفة التي تناولت هذا الموضوع.

فنجد الآية مورد البحث تنسب الفيء لله سبحانه وتعالى أولاً، حيث تقول: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ**﴾ ثم أفاء به تعالى على رسوله، أي أرجعه إليه بعد إن كان بيد اليهود، وإلى هذا تشير في ذيلها: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ فأصل الملكية لله، وبيده يسلط من يشاء على ما يشاء.

هذا المفهوم ما أكثر ما تعرض له القرآن الكريم، مبيناً أن الملكية بحسب واقعها لله جل وعلا، وما يتملكه الإنسان في هذا الوجود، إنما يتملكه استخلافاً من قبل المالك الحقيقي له، وهو الحق تعالى.

ومن الآيات المبينة لهذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾[1] فكل ما في هذه الأرض مخلوق لله سبحانه وتعالى، وما كان مخلوقاً لله كان ملكاً له سبحانه، وقد خلق الإنسان ليستخلفه في التصرف في هذا الملك، ولذا ورد بعد الآية المتقدمة قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2].

فالإنسان ليس مالكاً لما خلق الله، بل مستخلفاً فيه، كما عبّر القرآن في سورة الحديد: ﴿**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**

---

(١) البقرة:٢٩.

(٢) البقرة:٣٠.

﴿وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١].

وفي آية أخرى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٢].

وهكذا في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].

فما في السماوات والأرض وما بينهما من موجودات هو ملك لله وحده، وهذه الآيات الكريمة وما شابهها تؤكد على الركيزة التي تضمنتها النظرية الاقتصادية الإسلامية، وهي أن أصل الملكية لله سبحانه وتعالى.

النقطة الثانية: وتشكل بُعداً آخر للنظرية الإسلامية في الاقتصاد، وهي أن هذه الأموال ملك للرسول[٤] بعد الله عز وجل؛ لأن الله قد أفائها عليه. وتقدم بيان هذا في بحث القسم الثالث من أقسام الملكية في الإسلام.

وبهذا امتازت النظرية الإسلامية عن النظريتين الاشتراكية والرأسمالية، حيث إن النظرية الاشتراكية تتجه إلى جعل الأموال كافة مملوكة لعامة الناس وتلغي الملكية الخاصة، بخلاف النظرية الرأسمالية التي تتجه إلى جعل الأموال بأجمعها خاصة. فالأموال بالأصل مقسّمة إلى تلك التقسيمات المعينة، وينتج أن بعضها لا يصح تملكه بالملكية الخاصة، ويبقى على ملكية الرسول (ملكية الدولة) ومن جملتها:

١)الأموال التي يفيء الله سبحانه وتعالى بها على رسوله من خلال

---

(١) الحديد:٧.

(٢) المائدة: ١٨.

(٣) المائدة:١٢٠.

(٤) باعتباره ﷺ إماماً ورئيساً للدولة.

العمليات السياسية والحربية.

٢)الأنفال حسبما تشير إليه سورة الأنفال المباركة.

النقطة الثالثة: بيان الفرق بين الفيء المملوك للرسول (ملكية الدولة) والغنائم التي يحصل عليها المسلمون في العمليات الحربية، حيث تكون ملكا خاصاً لهم، توزع عليهم بالطرق التي حددها الشارع، كأن يكون للراكب سهمان، وللراجل سهم واحد، ثم يستخرج منها مقدار الخمس: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾[1] الذي يكون حاله حال الفيء والأنفال المملوكين للرسول أو الإمام (رئيس للدولة).

والفرق الأساسي يكمن في أن الغنيمة - إن كانت من الأموال المنقولة - تملك بالملكية الخاصة باستثناء خمسها الذي يكون مملوكاً للرسول(ملكية الدولة)؛ لأن المسلم حصل عليها بالقتال والايجاف بالخيل والركاب، أما الفيء فباعتبار عدم مساهمة المسلمون في الحصول عليه، وتم بعدما أجلى الله تعالى الأعداء بما أدخل في نفوسهم من خوف ورعب وشعور بعدم الطمأنينة على أوضاعهم الحياتية في المستقبل، الأمر الذي أدى إلى تركهم الأراضي، أختلف في نوع ملكيته عن الغنيمة[2].

فالآية الكريمة مورد البحث بينت مفهوماً كلياً حول ملكية الفيء أو بتعبير آخر أوضحت نوعاً من أنواع الملكية في النظرية الإسلامية، وهو ما يكون مملوكاً

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) بحث مثل هذا الأمر بشكله الكامل مع بيان دقائق الفرق والامتياز الموجودة فيه بين النظرية الإسلامية والنظريات الأخرى مع المقارنة فيما بينها، يخرجنا عن البحث التفسيري، ولذلك نحيله إلى أفضل ما كتب في هذا المجال، وهو كتاب (اقتصادنا) لسماحة آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره حيث شرح هذا الموضوع مفصلا في الجزء الثاني منه، بعدما أشار إليه بشكل إجمالي في الجزء الأول، وكان بحق أفضل ما كتب في الاقتصاد الإسلامي. منه قدس سره.

للدولة بالملكية العامة، ومن خلال المراجعة للنظرية الإسلامية في الملكية نجد أن أهم الملكيات التي وضعها الإسلام في نظريته هو هذا النوع من الملكية التي تشكل بدورها ركيزة أساسية فيها، ومن مواردها: الأنفال، والمعادن التي تشكل أهم ثروة في الأرض، والخمس الذي يعد أهم ضريبة مالية وضعها الإسلام على الأرباح التي يحصل عليها الإنسان من خلال العمل ونحوه[1].

الآية الثانية: الفيء بين المصرف والعلة

قال تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

تشتمل الآية على أربع فقرات، كل منها يشير إلى مضمون خاص:

الفقرة الأولى: قال تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾.

لقد وقع الكلام بين المفسرين والفقهاء في أن هذه الفقرة، هل هي

---

(١) ومن موارد الخمس:

١ــ الغنائم الحربية.

٢ــ أرباح المكاسب، وهي ما يحصل عليه الإنسان في تجارته وأعماله من مكاسب وأرباح، وبعدما ينفق منها في متطلبات حياته طيلة السنة، فإن فضل بعد انتهاء السنة شيء من تلك الأرباح، عندئذ يجب عليه إخراج خمس الفاضل منها.

٣ــ المعادن، بما يتملكه منها إذا كان مأذونا من قبل الإمام في استخراجها. منه.

وهناك موارد أخرى، فمن أراد التفصيل، فليراجع كتب الفقه والرسائل العملية، حيث عقد باب خاص في موارد وجوبه وأحكامه.

بصدد بيان ملكية العناوين الستة[١] للفيء أو أنها لبيان أن تلك العناوين مجرد موارد لصرف الفيء، وأما ملكيتها فهي لله سبحانه وتعالى وللرسول[٢]؟

الظاهر من الآية بعد ملاحظة سياقها وارتباطها بسابقتها، وبعد مراجعة الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في تفسيرها: أن الملكية للرسول صلى الله عليه وآله بالأصل، وإنما ذكرت بعض العناوين لبيان أنها موارد لصرف هذا الفيء وتقسيمه، لا بصدد بيانه بنفسه، حيث تقدم في الآية السابقة بيان أصل الملكية ونوعها وفق النظرية الإسلامية، ولاحظنا التعدد في ماهية الملكية وفي طبيعتها.

فبعض الأموال تكون مملوكة ملكية خاصة، وبعضها تكون مملوكة ملكية عامة للمسلمين، كالأراضي الخراجية، وبعضها تكون مملوكة ملكية حقوقية وليست حقيقية، وهي التي تكون مملوكة للدولة أو الرسول أو الإمام حسب اختلاف التعبيرات التي يستخدمها القرآن وتستخدمها الروايات الشريفة الواردة في هذا الباب.

وأما العناوين التي تعرضت لها الآية فهي:

الأول والثاني: الله والرسول.

يرى بعض المفسرين أن ذكر الله عز وجل كان للتبرك ولتأكيد انتساب

---

(١) وهي: الله ورسوله، وذو القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

(٢) لقد دار الكلام في أن هذه الموارد هل هي على نحو الاستحقاق أو على نحو الصرف، أي هل هم مستحقون له أم مجرد مصرف له فقط، والفرق في ذلك: أن المستحق يكون حقه ثابتاً، وله المطالبة والتقاضي إذا لم يعط، بخلاف المصرف فليس له المطالبة إذا لم يعط.

هذه الملكية إليه تعالى، وإلا فلا معنى أن يكون الله تعالى مصرفاً للفيء، وهذا ما سرّاه بعضهم إلى عنوان الرسول.

والصحيحُ إمكانية افتراض مصرف لله تعالى، وبنفس الوقت لا يكون للذات الإلهية، بل لأجل الله سبحانه وفي سبيله، كالجهاد والإعمار وبناء القناطر والطرق ونحوها على ما ورد في تفسير (سبيل الله) في مصرف الزكاة والصدقات، فقوله تعالى: (فلله) يراد منه الصرف في سبيل الله، فيمثل مورداً مستقلاً للصرف في مقابل الموارد الأخرى.

وأما العنوان الثاني (الرسول ﷺ) ففيه بعدان:

أولهما: البعد الذي يرتبط بكونه إماماً للأمة، وقائداً لها ومديراً لشؤونها وراعياً لأمورها، أي الجانب العام للرسول.

ثانيهما: البعد الذي يرتبط به كشخص له حاجات ومتطلبات، ويتوقع منه الناس أشياء معينة، باعتباره ذي موقع معين، وله علاقات معينة مع المجتمع، فباعتبار تلك الحاجات الخاصة أو الناشئة من موقعه الاجتماعي عدٌ مصرفاً للفيء.

فالفيء ملك الرسول، وله أن يصرفه في سبيل الله أوفي شؤونه الخاصة.

الثالث: ذوي القربى[1].

فقد ذكر المفسرون وأكدته الروايات المروية في كتب العامة مضافاً إلى ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام[2]، أن المراد منهم أهل البيت الأقربون للنبي ﷺ،

---

(١) دار البحث بين المذاهب الإسلامية في أن استحقاقهم، هل هو بالقرابة ولا تعتبر فيهم الحاجة وعدمها كما ذهب إليه الشافعي وأصحابه، أو استحقاقهم بالحاجة لا القرابة كما ذهب إليه أبو حنيفة وأصحابه؟ والأمامية قد ذهبت إلى الأول.

(٢) وقد روى في التهذيب: **((عن عبد الله بن بكير عن بعض أصحابه عن أحدهما عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ قال: خمس الله، وخمس الرسول للإمام، وخمس ذي** ⇦

الذين يتسلمون الإمامة ويرثونها عن رسول الله ﷺ بالنص عليهم منه.

وبالتالي فمصرف ذي القربى يراد منه سهم الإمام، وبعد وفاة الرسول ﷺ يصبح هذا السهم - سهم ذي القربى - شاملاً سهم الله وسهم الرسول، فكونه يشمل سهم الله؛ لأن الصرف في سبيل الله يكون من قبل الإمام، وكونه يشمل سهم الرسول؛ لأن موقع الإمامة المتعين للرسول ينتقل إليه.

وكونه يشمل سهم ذي القربى؛ لأنهم قربى رسول الله ﷺ، وهم: (علي وفاطمة والحسن والحسين) فهؤلاء كانوا هم الأقربين لرسول الله ﷺ، فيكون هذا السهم بعد وفاة النبي يضم هذه الأسهم الثلاثة.

وتذكر قرينة على هذه الحقيقة، وهي أن هذه الموارد الثلاثة: (الله عز وجل، الرسول، ذوي القربى) أُشير إليها ببيان خاص بها، وهو إدخال (اللام) الثقيلة عليها سواء في هذه الآية الشريفة: ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾ أو في آية الخمس: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾[1].

وأما العناوين الثلاثة الأخرى: (اليتامى، المساكين، ابن السبيل) فقد

القربى لقرابة الرسول والإمام، واليتامى يتامى آل الرسول، والمساكين منهم وأبناء السبيل منهم، فلا يخرج منهم إلى غيرهم.

وسئل أبو الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ فقيل له: فما كان لله فلمن هو؟ قال: للرسول، وما كان للرسول فهو للإمام. فقيل له: أفرأيت إن كان صنف أكثر من صنف، وصنف أقل من صنف، فكيف نصنع به؟ فقال: ذاك إلى الإمام. أرأيت رسول الله ﷺ كيف صنع، إنما كان يعطي على ما يرى هو كذلك الإمام)). تهذيب الأحكام ٤: ١٢٥ــ ١٢٦، ح٢و ح٤.

(١) الأنفال: ٤١.

عطف بعضها على البعض الآخر بدون إدخال(اللام) عليها، مما يقرّب أن العناوين الثلاثة الأولى تعدّ عنواناً واحداً بعد وفاة الرسول ﷺ متمثلاً بالإمام المنصوب من قبل الرسول، وهم الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام.

أما العناوين الثلاثة الأخرى فكانت محلاً لتساؤل المفسرين عن المقصود بها، هل هو عامة اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، أو خصوص اليتامى والمساكين وأبناء السبيل من آل بيت الرسول ﷺ؟

ورد عن أهل البيت عليهم السلام الثاني - أي خصوص أقرباء الرسول من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل - حيث نقل صاحب مجمع البيان رواية في ذلك: ((**روى المنهال بن عمر عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلت** له: قوله ﴿**وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ قال: **هم قربانا ومساكيننا وأبناء سبيلنا**))[1] كما روى شيخ الطائفة في التهذيب[2]، هذا المعنى عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام مؤكداً بأن المقصود من المساكين واليتامى وابن السبيل هم يتامى آل البيت ومساكينهم وأبناء سبيلهم.

على خلاف هذا الرأي ذهب عامة الفقهاء فاعتمدوا الاحتمال الأول، أي أن المقصود من العناوين الثلاث الأعم من المنتسبين لرسول الله ﷺ فيشمل غيرهم، وتروى في هذا المعنى عدة روايات عن أهل البيت عليهم السلام[3] أيضاً.

إن هذا الموضوع من الأبحاث الفقهية الجديرة بالبحث، ولكن مجمل

---

(١) مجمع البيان٩: ٤٣١.

(٢) تهذيب الأحكام٤: ١٢٦،ح٣.

(٣) كقول الإمام الباقر عليه السلام: ((**كان أبي يقول: لنا سهم الرسول وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي**)). وسائل الشيعة١١: ١١٤، ح١٢.

النتائج التي تلوح من الروايات الواردة بهذا الصدد: أن الفيء يكون ملكاً للإمام، وله أن يصرفه في هذه الموارد المشار إليها، ويكون قربى رسول الله من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل هم المقدّمون على غيرهم تعويضاً لهم عن الصدقات (الزكاة) التي حرّمت عليهم[1]، فالله تعالى تفضل عليهم بإعطائهم حصة في الفيء والخمس، بحيث لهم الأولوية فيهما على غيرهم.

ومن الروايات الواردة التي جاءت مؤكدة على أن الفيء يكون ملكاً للإمام، ما ورد في التهذيب بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ **قال: الفيء ما كان من أموال لم يكن فيها هراقة دم أو قتل، والأنفال مثل ذلك هو بمنزلته**[2]))[3].

وروى الكافي بإسناده عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ((**الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم وكل ارض خربة وبطون الأودية فهو لرسول الله وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء**))[4] وفي هذا تأكيد على الحقيقة التي أشرنا إليها من أن الفيء والأنفال تكون للإمام بشكل عام.

وفي التهذيب بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

---

(١) فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((**والله عني بذي القربى، وهم الذين قرنهم الله بنفسه وبنبيه صلى الله عليه وآله فقال:** ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ **منا خاصة، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيبا أكرم الله نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدي الناس**)). تهذيب الأحكام٤: ١٢٦،ح٣.

(٢) أي بمنزلة الفيء.

(٣) تهذيب الأحكام٤: ١٣٣، ح٥.

(٤) الكافي١: ٥٣٩، ح٣.

((سمعته يقول: الفيء والأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة من الدماء، و قوم صولحوا وأعطوا بأيديهم، وما كان من ارض خربة، أو بطون أودية، فهو كله من الفيء، فهذا لله ولرسوله ﷺ فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء، وهو للإمام عليه السلام بعد الرسول ﷺ وقوله: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ قال: ألا ترى هو هذا، وأما قوله: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ فهذا بمنزلة المغنم، كان أبي يقول ذلك، وليس لنا فيه غير سهمين: سهم الرسول، وسهم القربى؛ ثم نحن شركاء الناس فيما بقي)) [1].

وهذه الروايات مضافاً إلى دلالتها على ملكية الإمام للفيء تدل كذلك على أن العناوين الثلاثة الأخيرة مشتركة بين آل الرسول وغيرهم.

الفقرة الثانية: قال تعالى: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

تضمنت الفقرة الشريفة قاعدة كلية قد يستفاد منها في السياسات الاقتصادية الإسلامية، ويمكن أن تجعل هدفاً من أهدافها.

فالفقرة في مقام تعليل جعل الفيء ملكاً للإمام أو بتعبير آخر ملكاً للرسول وفي ذات الوقت جواباً لتساؤل عن سبب عدم تعامل القرآن والإسلام والنبي ﷺ مع الفيء، كما تعامل مع الغنيمة التي يحصل عليها المسلمون في الحرب؟

فالغنيمة جعلت للمسلمين ولم يستثنَ منها إلا مقدار الخمس، فلماذا لم تقسّم الأموال التي أفاء الله سبحانه وتعالى بها على رسوله أيضاً على المقاتلين؟!

يشير القرآن الكريم في بيانه لهذا الحكم الشرعي إلى أمرين:

---

(١) تهذيب الأحكام٤: ١٣٤، ح١٠.

الأول: ما ذكرته الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿**فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ**﴾ هو الفارق والمائز الموضوعي بين الغنائم والفيء.

ففي الغنائم قاتل المسلمون وحاربوا وأوجفوا عليها بالخيل والركاب، وكانت حصيلة جهدهم وقتالهم حصلوهم على الغنيمة، ومن هنا اختلفت خصوصيات هذا الموضوع عن خصوصيات الفيء نفسه، حيث لم يقاتلوا من أجله، وما أوجفوا عليه خيلاً ولا ركاباً، وإنما أفاء الله تعالى به على رسوله.

الثاني: هو عدم جعل المال منحصراً بيد الأغنياء، حيث جعل القرآن الكريم القسم الأكبر من الأموال الموجودة في الأرض بيد الإمام؛ حتى لا يصبح المال متمركزاً بيد الأغنياء المقتدرين على النشاط والتحرك الاقتصادي، وبالتالي ستتراكم عندهم الأموال بالتدريج حتى تصبح متداولة بين أيديهم فقط، تخرج من يد غني لتدخل في يد غني آخر، بعيداً عن أيدي الفقراء وعامة الناس، فلأجل أن لا يقع هذا المحذور بما فيه من ضرر كبير على المجتمع الإسلامي جعل الفيء بيد الإمام والرسول ـ من بيده إدارة أمور الناس ورعايتهم ـ وله الحق في صرفه على الموارد العامة كسبيل الله ونفس الرسول وذوي القربى، أو الخاصة، وبالتالي ستوجد التعادل والتوازن في ملكية المجتمع، حيث يختص هذا المال باليتامى والمساكين وأبناء السبيل، أي بالفقراء من الناس، وإذا فسّرنا اليتامى والمساكين وابن السبيل بخصوص الفقراء من آل محمدﷺ عندئذ يأتي الكلام في الآية الثانية، والتي تشير إلى نوع آخر من الفقراء، وأما على القول الثاني ـ أي أن المراد الفقراء عامة، كما هو ظاهر الآية الشريفة، وما يفهم من مجموع الروايات المروية عن أهل البيتعليهم السلام ـ فسيكون هذا المال مصروفاً أما في الشؤون العامة أو في شؤون الفقراء من أفراد المجتمع الذين يتحقق من خلالهم ذلك التوازن الإجتماعي.

ان ذكر القرآن الكريم لعله هذا الحكم مدلول اقتصادي واسع وفق القاعدة التي يذكرها الفقهاء والمفسرون، وهي: أن الحكم الشرعي حتى لو كان خاصاً في مورد معين، ولكن إذا كانت علته ذات طبيعة عامة فسيكون عاماً أيضا؛ لأن الحكم الشرعي يتبع علته من حيث العموم، كما يذكر في تعليل بعض الأوامر الصادرة من الأطباء.

فالطبيب عندما ينصح المريض بعدم أكل الرمان مثلاً، ويعلل ذلك بحموضته، فيدل هذا التعليل على أن كل حامض لابد من الامتناع عنه، وعلى هذا، فلو كان الرمان حلواً، فلا مانع من أكله.

ويأتي الكلام نفسه في موردنا، باعتبار أن العلة التي ذكرت في هذا الحكم الشرعي ـ وهي أن لا يكون المال منحصراً بالأغنياء ومتداولاً بينهم ـ تمثل بعدين:

الأول: البعد المرتبط بالسياسات العامة الاقتصادية، حيث يعطينا الإسلام في هذه الفقرة الشريفة سياسة اقتصادية عامة، وهي: أن تضع السياسات الاقتصادية حركة المال وتداوله في المجتمع بنحو لا يكون منحصراً بين الأغنياء، مع توفيرها الفرص الكافية أمام الفقراء لتداوله، كما تعتبر ذلك هدفاً من أهدافها، فينبغي على الواضع للسياسات التنفيذية لحركة الاقتصاد الإسلامي أن يوازن في تداول المال، وفي حركته في المجتمع، فيضع السياسات الاقتصادية بشكل يصل فيه المال إلى كل أبناء المجتمع حتى لا يكون حكراً على الأغنياء القادرين على تبادل الصفقات المالية والتجارية.

الثاني: ويرتبط بحرية الحركة الاقتصادية، فالنظرية الإسلامية في الوقت الذي ترى فيه حرية الحركة الاقتصادية ترى ضرورة وضع حدود لتلك الحرية؛ كي لا ينحصر تبادل المال وتداوله بين الأغنياء فحسب، بحيث تريده أن يكون متحركاً في أيدي جميع الناس.

وهذه مسألة مهمة لها تأثير قوي في النظرية الاقتصادية، وليس خفياً على السابر في علم الاقتصاد ما في النظرية الاقتصادية من أبحاث واسعة حول هذا الموضوع؛ لما له من ارتباط وثيق بالكثير من الأحكام التي وضعها الشارع المقدس، مثل حُرمة الربا والتي من أسبابها ما تقدم من القاعدة في تحقيق التوازن، فعندما يعطى المال هذه القدرة الخاصة في جذب أموال أخرى، بالتدريج يصبح الأغنياء هم القادرون فقط على جلب الأموال، وبالتالي تمركزها في أيديهم.

الفقرة الثالثة: قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾.

إن سياق هذه الفقرة جاء بصدد الإشارة إلى أن ما أعطاكم الرسول ﷺ من الفيء فخذوه وما نهاكم عن أخذه منه فانتهوا عنه.

يعني: إقبلوا بهذا القرار الجديد الذي يختلف بحسب مضمونه عن قرار تقسيم الغنيمة، وإلتزموا به.

ولكن قد نفهم من الفقرة الشريفة معنى أوسع وقاعدة أشمل، وإن وردت في مورد الفيء؛ لأن مضمونها مطلق ولم يقيد بخصوصه، ومن هنا يمكن الاستفادة منها كقاعدة عامة ترتبط بعلاقة المجتمع الإسلامي بقيادته المتمثلة بالرسول والإمام. فالقاعدة المستنبطة تعطي تفويضاً عاماً للقيادة الإسلامية فيما يتعلق بإدارة شؤون المجتمع، وفي نفس الوقت تلزم المجتمع الإسلامي بإطاعة قيادته الشرعية في الأوامر والنواهي الصادرة منها.

كما أن الموازنة المذكورة في هذه الفقرة الشريفة توجب مسؤوليات والتزامات على القيادة، مما يفرض عليها أن تكون في أعلى درجة من العدالة والعصمة حتى تصبح مؤهلة لمثل هذا التفويض الكامل؛ لكون هذه الأوامر والنواهي ملزمة بإطلاقها، وهذا يحتم أن يكون مصدرها على

درجة عالية من الاستقامة والاعتدال والالتزام حتى تكون أوامره ونواهيه متطابقة دائماً مع المصالح العامة للأمة.

وهذا يؤيد فهمنا لمبدأ العصمة الذي يعتبر شرطاً أساسياً في النبي، وفي الإمام المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى، ولمبدأ العدالة العالية التي تشترط كشرط أساسي في ولي أمر المسلمين، ومن يتولى أمرهم ـ أي الخليفة الذي يكون والياً ـ وكما تشترط فيه العدالة على أعلى مستوى، كذلك تشترط فيه الخبرة والمعرفة بمصالح المسلمين، حتى تكون أوامره في الوقت الذي تكون ناشئة من الإخلاص والشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، منطلقة من المعرفة بمصالحهم والعلم بظروفهم.

ثم يأتي دور الكفة الثانية في تحقيق التوازن، وهي وجوب إطاعة المسلمين لأوامره ونواهيه والالتزام بها، وهذا يقدّم بُعداً من أبعاد النظرية الإسلامية في الحكم، وهو بعد التوازن بين حجم المسؤولية ووجوب إطاعتها، وبين الشروط المشترطة في الحاكم والراعي.

وهذا ما تشير إليه بعض الروايات الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة عن أهل البيت عليهم السلام فقد روى الكليني بإسناده عن فضيل ابن يسار قال:((**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب، قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مُسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق**))[1].

---

(١) الكافي ١: ٢٦٦، ح٤.

وبنفس المضمون يروي بإسناده عن أبي إسحاق النحوي، قال: ((**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعته يقول: إن الله عز وجل أدب نبيه على محبته، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه، فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وقال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**))[1].

ففي البداية لا بد أن يكون الرسول والإمام والولي لأمر المسلمين على أكمل أدب، بحيث يستحق وصف: وإنك لعلى خلق عظيم، وبعدها يفوض إليه المولى عز وجل أمر الدين والأمة، وبيان الأحكام الإلهية بعد تحمل الرسالة ونشرها.

الفقرة الرابعة: قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾.

تعرض القرآن الكريم هنا إلى قضية أخلاقية، وهي الأمر بتقوى الله مع التأكيد على شدة عقاب المخالف. والسر في تناولها هو ما واجهه المسلمون من حالة جديدة في الفيء التي تختلف في واقعها عن الغنائم، حيث تم تقسيمها بين المسلمين واستثني الخمس منها، دون الفيء فجعل كله ملكاً للرسول أو بتعبير آخر للإمام، ووضعت صلاحياته كلها بيد الرسول أو الإمام أو الدولة، وشخصت مصاريفه، الأمر الذي قد يثير في نفوس المسلمين شيئاً من الشك تجاه الرسول أو الرسالة.

من هنا عالج القرآن الكريم هذا الموضوع، من خلال الأمر بتقوى الله سبحانه وتعالى، وأن يكون التفسير لهذا الموقف منطلقاً من قوله تعالى: ﴿**كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾ من ناحية، ومن قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ من ناحية أخرى.

---

(١) الكافي ١: ٢٦٥، ح١.

لقد تصدى المنافقون آنذاك لإثارة النفوس الضعيفة من خلال طرح الشبهات حول صحة ذلك الموقف، كما جرى في غزوة حنين، عندما خص النبي ﷺ الذين دخلوا الإسلام من أهل مكة بعد الفتح بحصة كبيرة من الغنائم، حينها طرح إتهام حاكته أصابع المنافقين؛ ليأخذ مأخذه من بعض النفوس، بأن النبي ﷺ وجد قومه وعشيرته في مكة، فمال إليهم، ولذا خصهم بكل هذه الغنائم دون سواهم.

وهناك من الآيات الكريمة ما أشار إلى مثل تلك الاتهامات، كقوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾[1].

والخلاصة هكذا إثارات وهكذا تحرك معاكس بقيادة المنافقين وتوجيههم قد واجه الحركة السياسية والاجتماعية للنبي ﷺ والمسلمين، ومما زاد الموقف تعقيداً أنها كانت تجد طريقها إلى النفوس الضعيفة بسرعة، فنبهت هذه الفقرة: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ إلى هذه الحقيقة وهذا التحرك.

الآية الثالثة: حقيقة المهاجر

قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾.

تشير الآية الكريمة إلى تشخيص المهاجر بصورة دقيقة، إذ ليس المهاجر كل من انتقل من بلد إلى آخر، ولا كل من انتقل من مكة إلى المدينة المنورة،

---

(١) التوبة:٥٨.

بل هو من كان واجداً للصفات الثلاثة التالية:

الصفة الأولى: أن يكون قد أخرج من بلده وماله بسبب حركته السياسية، ولذلك جاء التعبير القرآني: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**﴾ أي الإنسان الذي طرد من داره ومن ماله[1]. أما من لم يكن خروجه طرداً وبسبب الضغوط والممارسات من قبل أعداء الرسالة ضده، فلا ينطبق عليه هذا المصطلح القرآني.

الصفة الثانية: أن يكون الخروج في سبيل الله، وطلباً لفضله الكريم فيتخلّى الإنسان عن دياره وماله ابتغاء رضى الله ورضوانه جلت آلائه.

وعند مراجعة آيات القرآن الكريم، نجد أن طلب الرضوان وطلب الفضل من الله سبحانه وتعالى من الصفات العامة، التي أعتبرها القرآن كصفة للمؤمنين الخالصين في إيمانهم، الحاصلين على أعلى المراتب عنده تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ**﴾[2].

ويتبين كذلك أن هذه الصفة هي صفة أساسية في كل النبوات والرسالات الإلهية، وهي صفة ذلك الإنسان المتحرك القاصد لرضوان الله المتكل عليه في رزقه وفي كل حركاته.

كما يبدو من آيات القرآن المجيد أن أعلى المراتب وأرفع درجات الثواب التي قد ينالها الإنسان في الدار الآخرة هو رضوان الله تبارك وتعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**

---

(١) وهذا العنوان يشمل حتى المهاجر الذي فرّ بدينه.

(٢) الفتح:٢٩.

﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

فرضوان الله عزوجل هو أكبر من المساكن الطيبة، وأكبر من الجنات، وهذا ما يبتغيه الإنسان المؤمن.

الصفة الثالثة: أن يكون دائماً في حالة نصرة لله ورسوله، وأشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ حيث يعتبرها القرآن الكريم صفة ثالثة للإنسان المهاجر.

الآية الرابعة: الأنصار

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

تذكر الآية الكريمة شريحة أخرى من شرائح المجتمع الإسلامي، التي تستحق أن تكون مورداً من مصارف الفيء، وهم سكان المدينة المنورة الذين أسلموا قبل هجرة النبيﷺ القرآن الكريم ثلاث صفات ويذكر لهم مضافاً إلى صفتي استقرارهم في المدينة المنورة، واستقرارهم في الإيمان بالله وبرسوله. ولكي يكونوا مصرفاً للفيء، لابد من اتصافهم بصفات ثلاثة، تضاف إلى تلك الصفات الأساسية المشار إليها في القسم الأول من أقسام المجتمع، وهذه الأوصاف هي:

الصفة الأولى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي تكون بينهم وبين المهاجرين علاقة المحبة والمودى والولاء: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

---

(١) التوبة:٧٢.

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[1] حتى وإن كان المهاجرون أناس غرباء عن المدينة، وكان لهجرتهم لها أثراً في زلزلة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية هناك.

الصفة الثانية: ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ وتقدم أن الحاجة هي أما الحسد أو الإحساس بالضيق أو إي شيء آخر يشعر به نتيجة ما حصل عليه المهاجرون من مصالح ومنافع، ومن استقرار في المدينة المنورة.

الصفة الثالثة: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2]

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) في شأن نزول هذه الآية علّق صاحب تفسير الأمثل قائلا: ((نقل المفسرون قصصا متعددة في شأن نزول هذه الآية: يقول ابن عباس: إن الرسول بين للأنصار يوم الانتصار على يهود بني النضير، إذا كنتم ترومون المشاركة في حصة المهاجرين من الغنائم فشاطروهم بتقسيم أموالكم وبيوتكم، وإذا أردتم أن تبقى بيوتكم وأموالكم لكم فلا شئ لكم من هذه الغنائم؟ فقال الأنصار: علام نتقاسم بيوتنا وأموالنا معهم، نقدم المهاجرين علينا ولا نطمع بشئ من الغنائم؟ فنزلت هذه الآية تعظم هذه الروح العالية.

ونقرأ في حديث آخر أن شخصا أتى رسول الله ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى منزله، فقالت زوجته: ما عندنا إلا الماء، فقال رسول الله: من لهذا الرجل الليلة، فتعهده رجل من الأنصار وصحبه إلى بيته، ولم يكن لديه إلا القليل من الطعام لأطفاله. وطلب أن يؤتى بالطعام إلى ضيفه وأطفأ السراج، ثم قال لزوجته: نومي الصبية، ثم جلس الرجل وزوجته على سماط الطعام فتظاهروا بالأكل ولم يضعوا شيئا في أفواههم، وظن الضيف أنهم يأكلون معه، فأكل حتى شبع ونام الليلة، فلما أصبحوا قدموا على رسول الله ﷺ فنظر إليهم وتبسم (دون أن يتكلم) فنزلت الآية أعلاه وأثنت على إيثارهم.

ونقرأ في الروايات التي وصلتنا عن طريق أهل البيت عليهم السلام أن المضيف هو الإمام علي عليه السلام وأطفاله الحسن والحسين عليهما السلام والمرأة التي نومت الصبية جياعا هي فاطمة الزهراء عليها السلام. ويجدر الانتباه هنا إلى أن القصة الأولى يمكن أن تكون سببا لنزول الآية،

وذكرنا بأن المقصود من الإيثار هو: أن يقدّم الإنسان الذي تبوأ الدار والإيمان المهاجرين على نفسه في العطاء.

عند التدقيق في هذه الصفات نجد أنها ترتبط بالجانب النفسي والروحي والأخلاقي، ولم يُذكر شيء عن أوضاعهم ومواقفهم السياسية أو أهدافهم وغاياتهم كما ورد في الآية السابقة، الأمر الذي يشعر بضرورة ولابدية تحلّيهم بصفات روحية ونفسية علاوة على الصفات التي حصل عليها المهاجرون.

ثم يقدم القرآن المجيد قاعدة بقوله: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ سنتحدث عنها لاحقاً عند بحث الأبعاد السياسية والأخلاقية المطروحة في هذه الآيات الشريفة.

الآية الرابعة: التابعون

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.

والقصة الثانية من مصاديق تطبيق هذه الآية الكريمة. وبناء على هذا فإن نزول الآيات حول الأنصار لا يتنافى مع كون المضيف هو الإمام علي عليه السلام. وذكر البعض ــ أيضا ــ أن هذه الآية نزلت في مقاتلي غزوة أحد، حيث إن سبعة أشخاص منهم جرحوا في المعركة، وقد أنهكهم العطش، فجئ بماء يكفي لأحدهم، فأبى أن يشرب، وأومأ إلى صاحبه، وكان الساقي كلما ذهب إلى أحدهم يشير إلى الآخر ويؤثره على نفسه مع شدة عطشه، إلى أن وصل إلى الأخير، فوجده قد فارق الحياة، ثم رجع إلى الأول، فوجده قد فارق الحياة أيضاً، وحتى انتهى إليهم جميعا وهم موتى، فأثنى الله تعالى على إيثارهم هذا.

ولكن من الواضح أن هذه الآية نزلت في بني النضير، وبسبب عمومية مفهومها؛ فإنها قابلة للتطبيق في موارد متشابهة)). الأمثل ١٨: ١٩٤ ــ ١٩٥.

وهم الذين جاءوا بعد الصدر الأول[1]، أي من بعد الصنف الذي آمن بالإسلام في البداية.

والقرآن الكريم في هذه الآية يشير إلى ميزتين مهمتين في هذا الصنف أو الشريحة من المجتمع، وهما:

الميزة الأولى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ﴾ بمعنى أنهم يعرفون موقعهم من المسيرة الإسلامية، وأن هناك إخوان لهم سبقوهم بالإيمان، وتحملوا المصاعب والمشاق في سبيل ترسيخ الإسلام وإقامة دعائمه، فكان لهم فضل عظيم على المسيرة الإسلامية، فتطلب ذلك وقوف من تبعهم

---

(١) هذا المصطلح (التابعين) حرّف بعض الشيء في التاريخ، حيث أفترض: بأن المراد منه أولئك الذين جاءوا بعد عصر النبيﷺ ولم يعاصروه، ففرض الناس على قسمين: صحابة؛ وهم الذين صحبوا رسول الله وعاصروه ودخلوا الإسلام والرسولﷺ حي يرزق، وتابعون؛ وهم الذين دخلوا الإسلام بعد وفاة رسول اللهﷺ.

قرآنيا على ما يبدو من هذه الآية الكريمة ومن آيات أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ أن المراد من التابعين: هم أولئك الذين دخلوا الإسلام بعد الصدر الأول، يعني أولئك الذين التحقوا بالركب الإسلامي في البداية، وسمي هؤلاء بالتابعين تبعاً للقرآن الكريم، حيث صنّف الناس إلى صنفين: صنف التحقوا بالرسالة في بداية حركتها، إي في الظروف الصعبة التي كانت تواجه الرسالة، سواء كانت في مكة أم في المدينة، وصنف التحقوا بالرسالة بعدما أصبحت قوية وحاكمة في منطقة الجزيرة العربية، كما يصف القرآن ذلك بقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ حيث التحق عدد كبير من الناس بالرسالة بعد العز، وظهور المنعة، التي تحققت للرسالة الإسلامية، فالذين جاءوا في هذه المرحلة هم التابعون، فبعضهم اتّبع من قبله بإحسان، وإخلاص، وصدق، ومعرفة، وإيمان حقيقي وواقعي، وبعضهم دخل كما دخل عامة الناس دون فهم أو معرفة للحقيقة الإسلامية، وإن أعلن إسلامه وإيمانه؛ لذلك عبّر القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾. منهﷺ.

موقف الاستغفار وطلب الرحمة لهم من الله القدير؛ لأنهم ما كانوا ليلتحقوا بالمسيرة لولا هذا الفتح وهذا التوطيد، مع شعورهم أن المسيرة هي مسيرة واحدة؛ وهم جزء منها، ولابد لهم من الاتصاف بكل ما اتصفت به، والالتزام بكل ما التزم به، وهذا يقضي بضرورة اتصافهم بما اتصف به الذين سبقوهم بالإيمان من ابتغاء فضل الله سبحانه وتعالى ورضوانه، ومن النصرة لله ولرسوله، ومن تحمل كل المصاعب والمشاق في سبيل هذه الرسالة.

الميزة الثانية: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي أن يكون بيننا وبين السابقين لنا أخوة إيمانية، خالية من شوائب البغضاء والعداوة، حيث إن هذه الخصوصية ـ خصوصية عدم وجود الغل ـ من الخصوصيات المعبّرة عن الأخوة الإيمانية بين أفراد المجتمع، وقد تناولتها آيات القرآن الكريم من قبيل قوله تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾[1] حيث عبرت بكلمة: (إخوانا) و: ﴿**عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ**﴾ أي بعضهم في مقابل البعض الآخر.

ويكمل القرآن الكريم بيانه على لسانهم في آية أخرى حيث يقول: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2].

فحالة أهل الجنة تمثل أعلى مستوى من المحبة والأخوة والعلاقة الوطيدة، وعدم وجود الغل في الصدور يكشف عن تحول علاقة أفراد المجتمع إلى أخوة مطلقة كاملة، لا يمكن أن ترى إلا في الجنة، وقد ذكر القرآن الكريم

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) الأعراف: ٤٣.

هذا الأمر بصيغة أخرى، ومن بعد آخر، وهو المعبّر عنه بالولاء في قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

إذ إن حالة الولاء التي تعبر عن البعد الايجابي لعدم وجود الغل، تنتهي بالمجتمع إلى أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويطيع الله تبارك وتعالى ورسوله، فيستحق حينئذ نزول الرحمة الإلهية عليه.

ومن هنا وجب على الذين يأتون بعد الطبقة الأولى أو الصف الأول من المسلمين الذين عُبّر عنهم بالتابعين أن يتصفوا بهاتين الصفتين:

الأولى: صفة الشعور بوحدة المسيرة، ومعرفة الحق الذي كان عليه السابقون، وشكر الفضل الذي قدموه.

الثانية: أن تكون علاقتهم علاقة أخوة مع بقية أبناء المجتمع الإسلامي.

مما تقدم اتضح ما يكون مورداً ومصرفاً للفيء في المجتمع الذي يتركب من الشرائح الثلاثة المتقدمة.

تتميم

لقد دار البحث بين المفسرين في أن هذه الآيات هل هي استئناف جديد في مقابل ما تقدم في الآية السابقة ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا

---

(١) التوبة: ٧١.

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ من مصرف الفيء أو أنها توضيح لما ذكر سابقاً؟

ذهب البعض إلى أنها في مقام الإيضاح والبيان لما ورد في الآيات السابقة، فبينت الأصناف الرئيسية الثلاث التي تعتبر مصرفاً للفيء من خلال تعرضها إلى الأوساط الاجتماعية القائمة آنذاك، حيث تتناول كل واحدة من الآيات الثلاثة شريحة من المجتمع الإسلامي الواسع، وهذا يؤكد ما ذكرناه في تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾ من أن الفيء ملك للدولة الإسلامية.

ولأجل بيان هذه العناوين الثلاثة شرعت الآيات الكريمة بتحديد الشرائح الاجتماعية التي يصرف فيها الفيء على وفق العناوين الستة المذكورة في الآية السابقة، وحددتها بثلاثة، هي:

١ـ الفقراء المهاجرين.

٢ـ الفقراء الذين بنوا الدار والإيمان.

٣ـ الفقراء الذين جاؤوا من بعدهم.

وكأن هذه الآيات الثلاثة تتناول الشرائح الاجتماعية الرئيسية الثلاث التي كان يتكون منها المجتمع الإسلامي آنذاك، وهذا يعطينا فهماً لطبيعة النظرة الإسلامية لمكونات المجتمع، فقد جعل الإسلام أساس هذا التقسيم العلاقة بالله تعالى وبالرسالة، والسبق إلى الإيمان، ولم يكن على أساس قبلي أو عشائري، ولا على أساس الانتماء إلى العرق ونحوه.

فـ(للفقراء) إنما هي توضيح للمراد من العناوين المذكورة في قوله تعالى: ﴿**وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾.

وهناك رأي آخر أفترض أن الآيات الثلاثة المتقدمة ما هي إلا بيان لمصرف سبيل الله ﴿**فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ**﴾ فمصرفه هم الفقراء من بين هذه الشرائح الثلاثة التي تشير إليها الآيات الكريمة، ولعله أفضل التفاسير على

ما ذكرنا سابقاً، لتطابقه مع عمل الرسول ﷺ؛ لأنه ﷺ عندما قسّم الفيء لم يجعله خاصاً بجماعة معينة، وإنما أعطى منه للمهاجرين القسم الأكبر، وأعطى شيئاً منه للأنصار، كما ذكرت الروايات الواردة في هذا الموضوع.

فهنا (الفقراء) يراد منه بيان مصرف سبيل الله الذي يكون لهؤلاء الفقراء دون غيرهم.

ولكن بهذا المفهوم الذي يقدمه القرآن الكريم؛ لأن المسألة ليست مسألة عناوين وأسماء وحسب، وإنما هي في المضمون الذي يعيشه المجتمع، والذي أبان القرآن الكريم جوانبه السياسية والأخلاقية من خلال هذه الآيات الشريفة الثلاث.

الجهة الثالثة: استفادات عامة

يكون البحث في هذه الجهة حول بعض الاستفادات العامة من الآيات الكريمة للمقطع.

الاستفادة الأولى: التقوى السياسية

ان آيات المقطع الشريف بمجموعها تلفت نظرنا إلى قضية أخلاقية مهمة جداً في الحركة السياسية والاجتماعية، وهي: (التقوى السياسية والاجتماعية) فبعض الناس يفهم التقوى على أنها قضية تخصُّ الممارسات الشخصية، والمتقي هو من يجتنب المحرمات الشرعية كشرب الخمر، والزنا، والكذب والسرقة، وغيرها مما في ضمن هذه الحدود الخاصة.

صحيح، أن من يجتنب هذه الأمور وما شابهها من المحرمات ذات الطابع الشخصي أو الاجتماعي متقي، ولكن التقوى ليست مقيدة ومنحصرة بمثل هذه المواقف، بل هناك جانب مهم يرتبط بالحركة السياسية والحركة الاجتماعية للإنسان، فعلى الإنسان أن يكون متقياً في مواقفه السياسية، ويتخذ جانب الحيطة والحذر تجاه الإشاعات والأكاذيب والأراجيف والتهم

التي تُلصق بالقيادات الإسلامية النزيهة، ويرشد إلى ذلك التأكيد القرآني على هذا الجانب المسمى بـ(التقوى السياسية).

فالتقوى السياسية قد تكون أكثر أهمية وأكثر أثراً في تكامل الإنسان، وأن تركها موجب لسقوطه وتسافله؛ ولذلك نجد المنافقين أن حركتهم ـ التي تمثل أكبر حركة مضادة للتقوى ـ تتمحور وتتمركز حول القضايا السياسية دون القضايا ذات الطابع الشخصي ـ التي أكثر ما يقع فيها الإنسان تحت تأثير الغرائز والشهوات ـ وبالتالي يخرج عن جادة التقوى.

ففي الحركة السياسية والاجتماعية، نجد النفاق يقف على قمة الانحراف والخروج عن جادة التقوى؛ لذا أشار القرآن الكريم في هذا المقطع إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾؛ لئلا يخطأ المسلمون في تفسيرهم لموقف النبيﷺ تجاه قضية الفيء وتقسيمه.

الاستفادة الثانية: النصرة في المفهوم القرآني

النصرة واحدة من الموضوعات التي طرحها القرآن الكريم، كأصل من الأصول التي يتحتم على الإنسان المؤمن النهوض بها، سواء أكان من المهاجرين أو الأنصار.

فالنصرة لها آثار مختلفة منها: إن النصر الإلهي في القرآن الكريم مشروط بنصرة الإنسان لله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[1] أي الانتصار لدين الله وسبيله والطريق الذي رسمه الله للإنسانية جمعاء. إن الشرط الذي اشترطه القرآن الكريم أو الوصف الذي ذكره للإنسان المهاجر بقوله: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ له أهمية كبيرة

---

(١) محمد:٧.

حيث اعتبره من الصفات العامة في الإنسان المؤمن، فإذا تخلّف عن هذه الصفة، خرج عن كونه عضواً في المجتمع الإسلامي، وأصبح في عداد الغرباء، لا يتحمل المجتمع الإسلامي تجاهه أي مسؤولية.

ومن ناحية أخرى أن بالنصرة يصدق عليه أنه مؤمن حقاً؛ لأن صدق الإيمان بشكل حقيقي متوقف عليها، وبدونها لا ينضوي تحت ذلك العنوان، كما ورد التعبير القرآني بذلك.

وإذا راجعنا الآيات القرآنية الواردة في هذا الموضوع، نجد أن الولاية ـ وهي تحمل المسؤولية السياسية بين المؤمنين ـ مرهونة بقضية الإيواء والنصرة. ومع عدمهما (الإيواء والنصرة) فلا يعدّ بعضهم ولياً للبعض الآخر، بمعنى أن بعضهم لا يتحمل المسؤولية تجاه البعض الآخر. ومن الآيات تلك:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾[٢] أي أن الإيمان الواقعي ليس مجرد رفع شعار (لا اله إلا الله، محمد رسول الله) وإنما تتجسد حقيقته وواقعه في نصرة الله تعالى ورسوله، وبدونها يبقى القول المذكور مجرد شعار وإدعاء لا مصداقية له بحسب الخارج.

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[٤] حيث

---

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) الأنفال: ٧٤.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) الأنفال: ٧٢.

يؤكد القرآن الكريم في هذه الآية من أن المؤمن إذا استنصر مؤمناً آخر فعلى المستنصر به أن ينصره؛ لأن هذا هو شرط ولاء المؤمنين بعضهم لبعض، كما ورد ذلك في الحديث الشريف الذي رواه المسلمون بكل فرقهم:((من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم))[1].

نعم، إن كان هناك ميثاق بين المسلمين وغيرهم، فعندئذ لابد من الالتزام به واحترامه: ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾[2].

من خلال هذا العرض المختصر لبعض آيات القرآن الكريم يتضح لنا أن قضية النصرة من القضايا المهمة في المفهوم القرآني، وتتأكد لنا أهمية هذا الموضوع من بين الموضوعات التي تناولها القرآن ووضحتها الشريعة الإسلامية.

وعقّب القرآن الكريم على هذه الأوصاف الثلاثة بأن من يجمعها يكون من الصادقين، بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي من أهل الصدق في الهجرة، والصدق في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ويتوقف تحقق هذا الأمر على أن يكون ذلك الإنسان الذي أُخرج من دياره، مبتغياً لفضل الله سبحانه وتعالى ورضوانه، ناصراً له ولرسوله.

الاستفادة الثالثة: الأبعاد السياسية لحركة المجتمع الإسلامي

تشير آيات المقطع إلى مجموعة من الأبعاد السياسية **لحركة المجتمع الإسلامي منها:**

البعد الأول: أهمية التضحية والفداء بالديار والأموال في تركيبة الإنسان

---

(١) تهذيب الأحكام٦: ١٧٥،ح٢٩، وسائل الشيعة١١: ٥٥٩ــ٥٦٠،ح٣، بطريق آخر مع إضافة ((من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم)) في بداية الحديث.

(٢) ذيل الآية: ٧٢ من سورة الأنفال.

المؤمن الصادق في إيمانه، حيث إن الله سبحانه وتعالى عندما ذكر المهاجرين في آيات المقطع الشريف تحدّث عن قضية الإخراج من الديار والأموال، مما يدلل على أن التضحية والفداء والبذل وتحمّل الآلام والمعاناة هي أمور أساسية في تركيبة الإنسان المؤمن، في وضعه السياسي، بل وفي تكامل إيمانه.

البعد الثاني: قضية النصر للإسلام ولله سبحانه وتعالى وللرسول: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ وقد ذكرنا أهمية هذا النصر، وكيف يعتبر من الأمور المهمة جداً في فهم شخصية الإنسان المؤمن، فلا يتكامل إيمانه ما لم يتحلى بهذا الوصف.

البعد الثالث: ضرورة قيام علاقة الأخوة والمحبة بين شرائح المجتمع الإسلامي، سواء المهاجرين أم الأنصار أم التابعين، فينبغي أن تكون الأخوة والمحبة والمودة هي الحاكمة على العلاقات بينهم.

ولعله من أهم الأمور المهمة التي يجب إدراكها في قضية البعد السياسي هي المسؤولية التي يتحملها السابقون تجاه التابعين، وموقف التابعين منها، وهي: أن على الأنصار تحمّل مسؤولية إخوانهم المهاجرين إن كانوا فقراء أو ضعفاء مع حبهم لهم، ويجب على التابعين شكر الرعيل الأول من المسلمين على تضحياتهم، وما بذلوه في سبيل توطيد دعائم الإسلام، حيث عبّدوا لهم الطريق ويسّروا لهم الالتحاق بالمسيرة.

البعد الرابع: التزام المنهج الإسلامي والشعور بالانتماء الواحد للإسلام، فشرائح المجتمع الإسلامي مهما تعددت عناوينها وأسماؤها تمثّل أمة واحدة، وهذا يظهر من قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ وقوله تعالى: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾.

فكل هذه الخصائص توحد هذه الأمة، وتصيّرها جماعة واحدة،

وبالتالي لها وجود واحد، وحركة سياسية واحدة، وهدف واحد ومواصفات واحدة.

الاستفادة الرابعة: الأبعاد الأخلاقية لحركة المجتمع الإسلامي

تضمن المقطع الشريف إشارات قرآنية لمجموعة من الأبعاد الأخلاقية التي أتصف بها المجتمع الإسلامي. وعلى طريقة القرآن الكريم وأسلوبه في تناول الأبعاد المختلفة في موضوع واحد، حيث إنه في الوقت الذي يفصّل شرائح المجتمع الإسلامي تفصيلاً سياسياً، يشير إلى مجموعة من القضايا الأخلاقية؛ كي يمزج الحالة السياسية بالحالة الأخلاقية، وبذلك يصبح المجتمع مجتمعاً متماسكاً، وبالتالي يمكن تحقيق التربية المتكاملة للإنسان.

ومن تلك الأبعاد:

البعد الأول: ترجيح الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، ففي قوله تعالى: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً**﴾ إشارة إلى هذا البعد الأخلاقي الذي كان يتصف به جزء من المجتمع الإسلامي أو شريحة من شرائحه، حيث إن هؤلاء إنما أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى.

وهذا الأمر له غاية الارتباط بترجيح الإنسان لرضوان الله، ولما سيناله من أجر في الدار الآخرة على ما فاته في الدنيا من الأموال والديار والملذات والشهوات.

وبالتالي يكون له ارتباط بشكل وثيق بالجانب الأخلاقي لمسيرة الإنسان، فكلما كان من الناحية الأخلاقية متصفاً بصفة ترجيح الحياة الأخرى على الحياة الدنيا ازداد تأثّره بها سلوكاً وعملاً.

البعد الثاني: الصدق في المعاملة، ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿**وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾. فالصدق في المعاملة مع الله تعالى ذو بعدٍ

أخلاقي مهم جداً في العمل السياسي والحركة السياسية.

ذلك أن الحركة السياسية، تارة تكون حركة متذبذبة متغيرة، مع تغير المصالح والمنافع، ويؤثر ذلك في موقف الإنسان والتزاماته وتعهداته.

وأخرى تكون ثابتة، تعتمد على المبادئ والأسس التي يقوم عليها فكر الإنسان وحياته المعنوية، وعندئذ تكون حركته متكاملة قادرة على مواجهة مختلف الأحداث والمشاكل.

البعد الثالث: الطهارة والنظافة الروحية، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**﴾ فهؤلاء لا تنطوي نفوسهم على شيء من الحسد أو الحقد أو الضغينة أو غيرها من الأخلاقيات المتدنية، فلا يرون في نفوسهم، ولا في صدورهم شيئاً؛ لما تفضل به الله تعالى على المهاجرين من عطاء أو رزق أو جاه، وهذا يكشف عن مدى الطهارة والنظافة التي هم عليها، وقد عبّر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

ويترقى القرآن ليثبت أن ما بينهم أكثر من ذلك في قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ فيبين جانباً آخر من الطهارة والنظافة الروحية، حيث لا حسد ولا غل، بل أخوة ومحبة.

البعد الرابع: الاستغفار، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ**﴾ فموقف الاستغفار يكشف عن حالة من الحب، والحب يعتبر علامة على علاقة أخلاقية يعيشها المجتمع الإسلامي، ومن هنا أشار القرآن الكريم في مواضع متعددة إلى قضية الاستغفار ودلالتها على العلاقة الإيمانية بين المؤمنين كقوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1] فيذكر القرآن الملائكة باعتبارهم يمثلون أرقى حالات الطهارة في العلاقة فيما بينهم، ثم يذكر استغفارهم للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾[3].

إن هذه الآيات الشريفة وأمثالها تحكي لنا العلاقة الروحية المتصفة بالطهارة والنظافة الكاملة، باعتبار أن علاقة الاستغفار تجسد حالة الطهارة بأن يُحب الإنسان لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه.

البعد الخامس: الإيثار على النفس، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فقد ورد في رواية عن ابن عباس تحكي الحالة التي كان يعيشها أبناء المجتمع الإسلامي آنذاك، حيث قال: ((**قال رسول الله ﷺ يوم بني النظير: إن شئتم قسمتم المهاجرين من أموالكم وديارکم وتشاركونهم في هذه الغنيمة (أي تكون لكم حصة كما يكون للمهاجرين حصة فيها) وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم، ولا يقسم لكم شيء من الغنيمة، فقال لهم الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾**))[4].

إذن فالمجتمع الإسلامي آنذاك عاش هكذا خلق عالي حتى مع الحاجة

---

(١) غافر: ٧.

(٢) إبراهيم: ٤١.

(٣) نوح: ٢٨.

(٤) بحار الأنوار ١٩: ١٦٢.

الشديدة.

البعد السادس: الوقاية من شح النفس، وهذه قاعدة أخلاقية لها آثار كبيرة في حياة الفرد والمجتمع الإنساني بشكل عام، وبيّنها قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ فالإنسان الذي يقيه الله سبحانه وتعالى شُح نفسه، كان مفلحا في حياته، وقد ورد في هذا الموضوع أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام فقد ورد في كتاب معاني الأخبار بإسناده عن الحارث الأعور الهمداني قال: ((**فيما سأل علي عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام أن قال له: ما الشح؟ قال: أن ترى ما في يدك شرفاً وما أنفقت تلفا**))[1].

وما رواه زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال:((**إنما الشحيح من منع حق الله وانفق في غير حق الله عز وجل**))[2].

وهناك روايات عدّة بسطت الحديث عن معنى الشح، والآثار الاجتماعية المترتبة عليه[3].

---

(١) معاني الأخبار:٢٤٥،ح٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٤٦،ح٦.

(٣) عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: ((**أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إن الشحيح أغدر أو أعذر من الظالم، فقال له: كذبت إن الظالم قد يتوب ويستغفر، ويرد الظلامة على أهلها، والشحيح إذا شح منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وقري الضيف والنفقة في سبيل الله، وأبواب البر، وحرام على الجنة أن يدخلها شحيح**)). الكافي٤: ٤٤، ح١.

عن الفضل بن أبي قرة قال: ((**قال أبو عبد الله عليه السلام: تدري ما الشحيح؟ قلت: هو البخيل. قال: الشح أشد من البخل، إن البخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشح على ما في أيدي الناس، وعلى ما في يديه حتى لا يرى مما في أيدي الناس شيئا إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه الله**)). الكافي٤: ٤٥، ح٧.

المقطع الثالث

المنافقون
الموقف والخلفيات

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۞ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۞ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

يدور البحث في آيات المقطع الشريف حول المنافقين وموقفهم المعادي للمسلمين، والمساند للكافرين من أهل الكتاب، وبذلك تكون السورة الشريفة قد جاءت على ذكر الأقسام الرئيسة التي يتشكل منها مجتمع المدينة المنورة، حيث ابتدأت بذكر أهل الكتاب، ثم ثنت بذكر المسلمين الصادقين بشرائحهم الثلاثة، وجاء الدور هنا إلى ذكر المنافقين الذين تميزوا ببعض المواقف، حيث تناولهم القرآن في هذه الآيات الشريفة من السورة المباركة.

عند التأمل في هذه المضامين نجد تركيزاً واضحاً على ظاهرة الازدواجية في الشخصية، أو بتعبير آخر الاثنينية التي اتصفت بها الشخصية المنافقة، حيث يعيش المنافق دائماً حالة مزدوجة، يتجاذبه ظاهره وباطنه، مع وجود البون الشاسع والتناقض المطلق بينهما، بيد أن هذه الظاهرة تفرز آثارها في سلوكه، وفي كل مواقفه، لتجعل مصيره مصير الكافرين، كما يصرّح القرآن الكريم بذلك في نهاية هذا المقطع، مع بيانه الأبعاد المختلفة لشخصية الإنسان المنافق من خلال تلك الازدواجية والاثنينية في شخصيته.

ويقع البحث في المقطع في جهتين:

الجهة الأولى: بحث المفردات

هناك بعض المفردات الجديرة بالاهتمام والتي سأشير إليها، وهي:

المفردة الأولى: مفردة (جميعاً) الواردة في قوله تعالى: ﴿**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ**﴾.

الظاهر أن المراد من جميعاً هم المنافقون والكفار من أهل الكتاب؛ لاشتراكهم في صفة عدم القتال، كما أشارت آيات المقطع الأول في بيانها لحال أهل الكتاب وظنهم أن حصونهم مانعتهم من المؤمنين، فهم لا يقاتلون المسلمين إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر، كما عبّر القرآن الكريم، ويشترك معهم المنافقون في تلك الحالة وفي ظنهم ذاك.

المفردة الثانية: مفردة (الرهبة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ**﴾.

المراد من الرهبة: الفزع المقرون بالحذر والحيطة[1]، على أن من المحتمل، ولعل المتبادر إلى الذهن أن يكون المراد من الرهبة: هو الفزع المقرون بالهيبة[2]، أي خوف وفزع من شيء ما مع هيبة منه.

المفردة الثالثة: مفردة (الشديد) الواردة في قوله تعالى: ﴿**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ**﴾.

الشديد لغة: مأخوذ من الشد، والشد هو العقد القوي[3]. وكما تستخدم

---

(١) مفردات غريب القرآن: ٢٠٤.

(٢) ذكرت أغلب الكتب اللغوية أنه الخوف، وأضاف بعضهم في مقام التفريق بين الرهبة والخوف: أن الرهبة طول الخوف واستمراره، ومن ثمّ قيل للراهب: راهب؛ لأنه يديم الخوف. الفروق اللغوية: ٢٦١.

(٣) جاء في مادة شد: الشد العقد القوى، يقال: شددت الشيء قويت عقده قال تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ــ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ**﴾. مفردات غريب القرآن: ٢٥٦.

كلمة شديد في العقد، تستخدم في البدن، فعندما يكون البدن قوياً متماسكاً في بنائه يعبر عنه بالشديد، ويستخدم في النفس أيضاً عندما يكون وضعها تجاه شيء ما يتسم بالقوة، والمراد من ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي عندما يبطش بعضهم ببعض، أو عندما ينزل الضرر به ينزله بقوة وشدة.

المفردة الرابعة: مفردة (الوبال) الواردة في قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ**﴾.

الوبال لغة: مأخوذ من الوبل؛ والوبال المطر الثقيل القطار وهو ما تكون قطراته ثقيلة وقوية[1]. فلمّا كان مثل هذا المطر يحدث أضرارا في الزرع، استخدمت هذه المفردة في مقام التعبير عن الشيء الذي يخاف ضرره أو الذي يكون نزوله وحدوثه موجباً للضرر، فالوبال مأخوذة من الثقل المؤدي إلى الضرر.

الجهة الثانية: البحث التفسيري

نتناول في هذه الجهة تفسير الآيات الكريمة التي يتكون منها المقطع الشريف.

الآية الأولى: الموقف الزائف

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾.

يبدأ القرآن الكريم حديثه عن المنافقين بطرح استفهام استنكاري، مشيراً إلى أنهم إخوان لأهل الكتاب.

---

(١) مفردات غريب القرآن: ٥١١.

وقد ذهب المفسرون إلى أن المقصود بإخوانهم من أهل الكتاب هم بنو النظير الذين نزلت هذه السورة الشريفة بشأنهم وشأن إخراجهم من ديارهم لأول الحشر[١].

وعبّر القرآن عن أهل الكتاب من بني النظير بأنهم إخوان للمنافقين؛ لأن عنوان الأخوة يستخدم بالأصل للاشتراك في نسب واحد، وبعد ذلك استخدم في اللغة العربية لمجرد الاشتراك في العقيدة أو الموقف السياسي[٢].

---

(١) وهذا قول الأكثر وهناك قول آخر: هم بنو النظير وبنو قريضة. وذهب إليه عدة من المفسرين، منهم الثعلبي في تفسيره ٩: ٢٨٤. أما السمعاني فذكر قولان:
((أحدهما: أنهم بنو النظير، قال لهم المنافقون ذلك قبل أن يُجلَوا.
والآخر: أنهم بنو قريضة، قال لهم المنافقون ذلك بعد أن أُجلي بني النظير)). تفسير السمعاني٥: ٤٠٤.

(٢) وذكر الراغب في مادة أخ: ((الأصل أخو، وهو المشارك آخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع. ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة وفى غير ذلك من المناسبات، قوله تعالى: ﴿لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ﴾ أي لمشاركيهم في الكفر، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ــ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ ، وقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي إخوان وأخوات، وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم. والأخت تأنيث الأخ. وجعل التاء فيه كالعوض من المحذوف منه.
وقوله: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ يعنى أخته في الصلاح لا في النسبة، وذلك كقولهم: يا أخا تميم، وقوله: ﴿أَخَا عَادٍ﴾ سماه أخا تنبيها على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه، وعلى هذا قوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ ــ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ ــ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أي من الآية التي تقدمتها، وسماها أختا لها لاشتراكهما في الصحة والإبانة والصدق، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ فإشارة إلى أوليائهم المذكورين في نحو قوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ وتأخيت أي تحريت تحرى الأخ للأخ. واعتبر من الإخوة معنى الملازمة، فقيل أخية الدابة)). مفردات غريب القرآن١: ١٣.

ووقع التساؤل بين علماء التفسير في وجه الاشتراك بين أهل الكتاب والمنافقين.

فذهب بعضهم إلى أن المنافقين وأهل الكتاب، لّما كانوا يشتركون في عقيدة واحدة، حيث إن المنافق بحسب عقيدته كافر، فهو والكتابي يشتركان في الكفر؛ والكفر ملة واحدة، فأصبح المنافقون إخوانا لأهل الكتاب[١].

واحتمل فريق آخر أن يكون الاشتراك في الولاء؛ لأن بعضهم كان يوالي و ينصر البعض الآخر، ويقف إلى جانبه في الموقف السياسي[٢].

وذهب آخرون إلى أن وجه الاشتراك هو عداوتهم لرسول الله ﷺ مع افتراقهم بالعقيدة والولاء السياسي[٣].

ومن المحتمل أن يكون التعبير بالإخوان تعبيراً عن كل هذه المشتركات، حيث إن أهل الكتاب والمنافقين يشتركون في عقيدة الكفر، فكانوا يرفضون الإسلام ولا يلتزمون به، ويشتركون في الموقف السياسي، وفي عداوتهم للرسول الأكرم ﷺ.

فجاء هذا التعبير القرآني دالاً ومعبراً عن جميع هذه المشتركات التي بينهم.

أما قولهم لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب، فيقع البحث فيه من جهتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾.

---

(١) الآلوسي في تفسيره ٢٨: ٥٦، والشوكاني في فتح القدير ٥: ٢٠٤، والسيوطي في تفسير الجلالين: ٧٣٢.

(٢) احتمله الطبرسي قدس سره في جوامع الجامع ٣: ٥٣٦، والبيضاوي في تفسيره ٥: ٣٢١.

(٣) ذكره الرازي ضمن الوجوه المحتملة في الأخوة. راجع التفسير الكبير ٢٩: ٢٨٨.

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن اللام في قوله(لئن) لام قسم[١]، فكأنهم يقولون: نقسم أنه إذا أخرجتم نخرجن معكم.

لكن من المحتمل أن تكون اللام هنا لام تأكيد، حيث إنهم يؤكدون أن موقفهم من قضية إخراجهم من ديارهم هو موقف واحد، وهو الخروج معهم.

والآية الكريمة فيها إشارة إلى ما ذكر في أسباب النزول، من أن عبد الله بن أُبي، وعبد الله بن نبتل، وآخرين من المنافقين[٢]، قالوا لبني النضير: بأنه إذا قام الرسول والمسلمون بإخراجكم من دياركم فسيكون موقفنا هو الخروج معكم، كما ويؤكدون هنا هذا القول، بقولهم: ﴿**وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا**﴾ أي سنكون على قولنا، وسنلتزم ونثبت على عدم الالتزام بطاعة النبيﷺ في حقكم وفي شأنكم مهما كان الأمر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ**﴾.

إن قوتلوا وحوربوا من قبل رسول اللهﷺ فسوف ينصرونهم ويقفون معهم موقف الناصر، فالمصير واحد، إذا أخرجتم نخرج معكم، وإذا قوتلتم نقاتل معكم، وبالتالي نشترك معكم في كل تلك المواقف.

وقد كشف القرآن الكريم كذبهم وزيف ادعائهم بقوله: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ وهذا يشبه ما ورد في سورة المنافقين من قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٣].

---

(١) كالعلامة الطباطبائي في الميزان١٩: ٢١٢، والشوكاني في فتح القدير٥: ٢٠٤، والآلوسي في تفسيره ٢٨: ٥٦.

(٢) كرفاعة أو رافعة بن زيد بن تابوت وأوس ابن قيظي.

(٣) المنافقون:١.

إن كلامهم الكاذب يحتمل فيه وجهان:

الأول: أنهم منذ بداية الأمر قالوا شيئاً على خلاف اعتقادهم، حيث إنهم لم يكونوا على استعداد للخروج مع الكفار من أهل الكتاب، كما لم يكونوا على استعداد للقتال معهم أيضاً، وإنما قالوا ذلك كذباً وإغراء لهم حتى يقفوا هذا الموقف.

الثاني: عدم المطابقة مع الواقع، أي أنهم عندما قالوا ذلك كانوا على عقيدة به؛ لأنهم قد نووا وقوف هذا الموقف، لكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم سيخذلون أهل الكتاب ولا يخرجون ولا يقاتلون معهم، كما حصل ذلك بالفعل، وشهد الله تبارك وتعالى بكذبهم[1].

الآية الثانية: شهادة قرآنية

قال تعالى: ﴿**لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ**﴾.

يؤكد القرآن الكريم في الآية الكريمة شهادته بكذب المنافقين، ويكشف زيفهم موقفهم من خلال ثلاث أمور، هي:

أولاً: إذا أُخرج أهل الكتاب، فالمنافقون لا يخرجون معهم.

ثانياً: إذا قوتل أهل الكتاب، فأولئك لا ينصرونهم.

ثالثاً: إذا نصروهم وحاولوا القتال معهم، فمصيرهم أن يولوا الأدبار ولا

---

(١) احتمل الشيخ الطوسي قدس سره وجهين آخرين في المراد من قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾: ((الأول: ظاهره يدل على أنهم لم يخبروا عن ظنهم؛ لأنهم لو أخبروا عن ظنهم وعن نيتهم لما كانوا كاذبين.

الثاني: أن يكونوا كاذبين في العزم أيضاً بأن يقولوا: إنهم عازمون ولا يكونوا كذلك)). التبيان ٩: ٥٦٨.

يثبتوا؛ لأن الله لا ينصرهم، ولا يمكنهم من تحقيق أهدافهم.

الآية الثالثة: منطلق الموقف

قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾.

تكشف الآية الكريمة حقيقة تتعلق بالمنافقين، تنعكس على موقفهم السياسي تجاه أهل الكتاب، وتدلل على واقع نفوسهم ومنطلقاتهم العقائدية في موقفهم من الإسلام، ورسالته، وتبين الآية تلك الحقيقة على بعدين:

الأول: يرتبط بتفسير موقف المنافقين من أهل الكتاب بخذلانهم وعدم الوفاء لهم بالوعد: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾.

إذ يعلّل القرآن ذلك بشعورهم بالخوف والفزع والرهبة من المسلمين بنحو أشد من خوفهم وفزعهم ورهبتهم من الله الواحد القهار، والسبب في ذلك هو نظرتهم المادية إلى الأمور، فيرون المسلمين ذوي قوة ومنعة وقدرة، خصوصاً بعدما حققوا انتصاراً كبيراً في معركة بدر على المشركين ـ الذين كانوا يعتبرون من أقوى القوى العسكرية الموجودة في المنطقة ـ وانزلوا بهم خسائر فادحة.

فالجماعة التي استطاعت إلحاق الهزيمة بهذه القوة العسكرية الضخمة التي تعتبر قوة مثالية آنذاك تعدُّ أقوى وأقدر، ولذا ينظر إليها المنافقون بخوف ورهبة وفزع.

فخذلانهم لأهل الكتاب، وعدم وفائهم بالوعد؛ إنما ينطلق من إحساسهم بالخوف والفزع من المسلمين، الذي هو أشد من خوفهم وفزعهم

ورهبتهم من الله تبارك وتعالى.

الثاني: يرتبط بالواقع العقائدي الذي كان عليه المنافقون، حيث ينظرون إلى القضايا بنظرة مادية قائمة على الحس، وأما الغيبيات فلا نصيب لهم في إدراكها أو معرفتها ولذا جاء التعبير القرآني عنهم ﴿**بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ حيث يستخدم القرآن الكريم الفقاهة في الدلالة على فهم ومعرفة القضايا غير المحسوسة وغير المنظورة.

ولولا جهلهم هذا ما صار خوفهم ورهبتهم من المؤمنين أعظم من خوفهم ورهبتهم من الله سبحانه وتعالى، مع أنه تعالى هو المهيمن على كل الوجود بدقائقه، وإذا كان للمسلمين قوة وقدرة، فمن الله ذي القوة المتين، وفي ذلك دلالة على عدم إدراكهم للحقائق كما هي، ونظرهم لها من زاوية ضيّقة ضمن الحدود المادية، لأن التعرف على الغيب والحقائق المهيمنة على الكون بأسره، يحتاج إلى تلك الملكة التي عبّر عنها القرآن بالفقاهة، ملكة رؤية الأشياء وإدراكها وفهمها من خلال ملاحظة كل الحقائق القائمة حتى لو لم تكن محسوسة ومرئية للإنسان، ومن هنا جاء التعبير: ﴿**لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾.

فغفلتهم عن الله وعدم خوفهم منه جعلهم يعدون أهل الكتاب بتلك الوعود التي سرعان ما ظهر زيفها عند المواجهة مع المسلمين، ومن هنا فسّر القرآن الكريم هذه الرهبة، بأنها قائمة على أساس عدم الفقه للحالة الواقعية.

الآية الرابعة: القواسم المشتركة

قال تعالى: ﴿**لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا**

يَعْقِلُونَ﴾.

بعد بيان القرآن الكريم حقيقة موقف المنافقين يعود ليتحدث عن القواسم المشتركة بين المنافقين وأهل الكتاب الذين قاتلوا المسلمين، فقد عبّر عنهم في بداية هذا المقطع الشريف بالإخوان: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾**.

وتقدم: أن الأخوة تطلق أما على الاشتراك في النسب، كما هو الأصل فيها، أو تطلق على الاشتراك في العقيدة، أو الاشتراك في الموقف السياسي الواحد. ولما كان المنافقون يشتركون مع أهل الكتاب في العقيدة، حيث إنهم جميعاً من الكفار، أو يشتركون معهم في الموقف السياسي الواحد، حيث إنهم جميعاً يعادون الرسالة ويعارضونها؛ لذا أشارت الآية الشريفة إلى القواسم المشتركة بينهم، فذكرت في ذلك ثلاث خصوصيات رئيسية:

الخصوصية الأولى: اشتراكهم في صفة الجبن والخوف، حيث يشير القرآن الكريم إلى هذه الصفة بقوله تعالى: **﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾** أي أن شأن هؤلاء المنافقين شأن أهل الكتاب، لا يبرزون للقتال، وإنما يحاولون التستر والتدرع بالبنيان أو الجدران لمواجهة المسلمين، وهذا ما اتصف به أهل الكتاب أيضاً، حيث أشار القرآن الكريم في بداية السورة إلى ظنهم بقدرة حصونهم على منعهم من الله، وبالتالي يقاتلون من ورائها.

وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذا الاشتراك بكلمة (جميعاً) حيث ذكر المفسرون أن المقصود بها المنافقون وأهل الكتاب معاً.

الخصوصية الثانية: الحالة الأخلاقية التي يتصفون بها، حيث أن العلاقات

فيما بينهم تتسم بالعنف والشدة والقسوة[١]، كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾.

وهذه الصفة التي اتصف بها المنافقون وأهل الكتاب تناقض تماماً ما اتصف به المؤمنون من كونهم أذلة فيما بينهم، أشداء مع أعدائهم، كما وصفهم القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٣].

فالمؤمن مع الكافر يكون عزيزاً وشديداً، أما مع أخيه المؤمن فيكون ذليلاً متواضعاً. والمقصود من الذل حالة الرحمة، كما أشارت إليه الآية الكريمة التي تحدثت عن العلاقة بين الأب والابن: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[٤] ويفسرها قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٥].

أما العلاقات السائدة بين المنافقين بعضهم مع البعض الآخر، وأهل الكتاب بعضهم مع البعض الآخر، فهي علاقات تتسم بالبأس والشدة والقسوة والعنف.

الخصوصية الثالثة: وجود الاختلاف بين ظاهرهم وباطنهم، حيث إن ظاهرهم، وكما يقول القرآن: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾ أي في حالة اتحاد واتفاق واجتماع، ولكن بحسب الباطن قلوبهم شتى، وأهواؤهم مختلفة، وآراؤهم

---

(١) ليس ذلك لضعفهم وجبنهم؛ فإنه يشتد بأسهم إذا حارب بعضهم بعضا، بل لقذف الله الرعب في قلوبهم، ولأن الشجاع يجبن والعزيز يذل إذا حارب الله ورسوله. التفسير الآصفي٢: ١٢٨٧.

(٢) الفتح:٢٩.

(٣) المائدة:٥٤.

(٤) الإسراء:٢٤.

(٥) الفتح:٢٩.

متعددة، فلا يقفون موقفاً واحدا.

ويفسّر القرآن الكريم هذا الاختلاف بين ظاهرهم وباطنهم بعدم امتلاكهم العقل الكافي لإدراك مضار الاختلاف والفرقة، وتعدد الآراء والأهواء، من الضعف والخزي والخذلان أمام أي مواجهة.

وينبّه القرآن الكريم في هذه الآية إلى قضية الوحدة، وهي قضية مهمة جداً، حيث إنها توجب قوة الجماعة، فإن كانت متفقة بحسب ظاهرها وباطنها، وعلى مستوى ميولها واتجاهاتها، ستكون قوية قادرة على المواجهة، أما إذا كانت متفرقة في آرائها وأهوائها وميولها، عندئذ ستكون ضعيفة، وهذا يكشف عدم اتصافها بالعقل أو المعرفة.

الآية الخامسة: عاقبة المواجهة

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ينتقل القرآن الكريم إلى ذكر مثالٍ وتشبيهٍ، وقد دار الكلام بين المفسرين في تحديد المقصود من هذا التمثيل؟

فكانوا على أقوال:

الأول: أن المقصود من التمثيل هم أهل الكتاب، فشبّه القرآن الكريم بني النضير ببني القينقاع وكأنه يريد أن يقول: إن شأن بني النضير في ما ذاقوه من عملية الإخراج على أيدي المؤمنين شأن بني القينقاع الذين واجهوا نفس المصير بعد بدر[1].

الثاني: أن المقصود هو تشبيه أهل الكتاب بمشركي مكة الذين واجهوا

---

(١) يحكى هذا القول عن ابن عباس وذهب إليه عدة من المفسرين منهم السيد الطباطبائي في الميزان ١٩: ٢١٣، والغرناطي في التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ١١٠، والقمي في تفسيره ٢: ٣٦٠.

الوبال على أيدي المسلمين في معركة بدر[١].

الثالث: أن هذا التشبيه ليس تشبيها لبني النضير وأهل الكتاب؛ وإنما هو تشبيه للمنافقين، وأنهم سيذوقون نفس الوبال الذي ذاقه بنو القينقاع أو مشركو مكة[٢].

وبالتالي فمن يسير في مواجهة الرسالة والدعوة الإسلامية، سيلقى نفس المصير الذي لاقوه من كانوا على نهجهم من قبل[٣].

الآية السادسة: الخلق الشيطاني

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

تشير الآية الكريمة إلى خلفية موقف المنافقين من أهل الكتاب، من أنها تجسد خلقاً شيطانياً، وهذا الخلق الشيطاني: هو عبارة عن نكث العهود وعدم الوفاء بها لأهل الكتاب.

فقد وعد المنافقون أهل الكتاب، أن يخرجوا معهم إذا أخرجهم النبيﷺ وأن ينصروهم إذا قاتلهم، لكنهم بعد ذلك نكثوا العهد ولم يفوا به؛ فما خرجوا ولا قاتلوا معهم عندما قاتلهم الرسول، فاتضح أن موقف

---

(١) حكي عن الزهري واختاره مجاهد في تفسيره٢: ٦٦٥، والرازي في تفسيره الكبير ٢٩: ٢٩٠، والسيوطي في تفسير الجلالين:٧٣٢.

(٢) ذكره أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط ٨: ٢٤٨ حيث قال: ((قيل: الضمير في ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿للمنافقين﴾ و﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ منافقوا الأمم الماضية، غلبوا وذلوا على وجه الدهر، فهؤلاء مثلهم)).

(٣) وهذا الكلام يظهر منه الشمول للجميع، لكل من قربت مدته منهم، وهذا ما صوبه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٢٨: ٦٢.

المنافقين تجاه أهل الكتاب موقف شيطاني؛ لأن الشيطان يأتي إلى الإنسان ويغويه عسى أن يكفر بالله تعالى، ولما يكفر، يتبرأ منه مدعياً الخوف من الله عز وجل.

الآية السابعة: جزاء الظلم

قال تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

بعد بيان القرآن الكريم موقف المنافقين ينتقل إلى بيان أن عاقبة الخادع والمخدوع، الضال والمضل كلاهما في النار؛ لأن كلاً منهما كان ظالماً، الخادع في خداعه للآخرين، وتضليلهم وغشهم، والمخدوع يعدّ ظالماً لنفسه؛ لأنه يملك الإرادة، ولم يكن انخداعه على خلاف إرادته، ويملك العقل الذي منّ الله تعالى به عليه ليعرف الأشياء، وبعث له الأنبياء والرسل أدلة على طريق الهداية، فلم يتخذه طريقاً، وبالتالي يكون ظالماً لنفسه، وجزاؤه النار.

وهذا هو حال المنافقين الذين خدعوا أهل الكتاب، وحرضّوهم على الخروج عن طاعة النبيﷺ لمّا وعدوهم بالخروج معهم إذا اخرجوا ونصرتهم إذا قوتلوا، ولا يطيعون فيهم أحداً، ولكنهم عندما وقعت الواقعة تبرؤوا منهم، فما خرجوا معهم وما نصروهم، وبذلك جسّدوا الموقف والخلق الشيطاني، إذ إن نقض العهود وعدم الوفاء بها، من أخلاق الشيطان، وأوصاف أتباعه.

وكان جزاء ظلمهم هذا الخلود في النار: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

وثمة أمر آخر هو: هل أن المراد من الآيتين المتقدمتين ضرب مثل عام لعلاقة الشيطان مع عموم الإنسان، وبعبارة أخرى هل الآيتان بصدد بيان موقفه العام مقابل الإنسان في إغرائه بالكفر بإثارته للرغبات والميول والشهوات حتى يكفر، ثم يتبرأ منه،

أو يراد منه الإشارة إلى قصة معينة وقعت في التاريخ، حيث قام الشيطان بإغراء أحد الرهبان[١] ثم تبرأ منه؟ كما نقل ذلك بعض المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة[٢].

لا يبعد أن يكون التفسير الأول هو الصحيح، وتكون القصة المنقولة أحد المصاديق التي تجسّد عملية الإغواء العام من قبل الشيطان على مر التأريخ، وهذا الإغواء يظل موجوداً وقائماً ما قامت الدنيا كما بيّنه القرآن الكريم، وذكر هذه القصة في بعض الروايات لا ينافي كون المقصود من الآيتين، هو عموم إغواء الشيطان للإنسان؛ لأن النبي ﷺ عندما ذكر هذه القصة ذكرها كأحد المصاديق لعملية الإغواء.

خاتمة البحث

لقد كشفت الآيات الكريمة للمقطع عن الموقف السياسي للمنافقين تجاه المسلمين وتجاه الرسالة الإسلامية حيث إنه:

أولاً: يتسم بالضعف؛ لتفرقهم واختلافهم و تشتت قلوبهم.

---

(١) ويقال أن اسمه (برصيصا).

(٢) كالعلامة الطباطبائي رحمه الله إذ قال: ((أخرج ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن رفاعة الدارمي يبلغ به النبي ﷺ، قال: كان راهب في بني إسرائيل، فأخذ الشيطان جارية، فحنقها فألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتي بها الراهب، فأبى أن يقبلها، فلم يزالوا به حتى قبلها، فكانت عنده. فأتاه الشيطان فوسوس له وزين له، فلم يزل به، حتى وقع عليها، فلما حملت وسوس له الشيطان فقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها، فاقتلها فإن أتوك فقل: ماتت.

فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها، فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم: أنه أحبلها ثم قتلها، فأتاه أهلها فسألوه، فقال: ماتت فأخذوه. فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي ألقيت في قلوب أهلها، وأنا الذي أوقعتك في هذا، فأطعني تنج، واسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين، فهو الذي قال الله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ الآية)). **تفسير الميزان ١٩: ٢١٥.** منه رحمه الله.

ثانياً: يتسم بالازدواجية، وهو ـ موقفهم ـ ينطوي دائماً على بعدين:

١) في كلامهم موقف وفي عملهم وفعلهم موقف آخر، ففي كلامهم وعدوا وعاهدوا أهل الكتاب في الخروج معهم ونصرتهم، ولكنهم عملاً لم يخرجوا معهم ولم ينصروهم.

٢) في خوفهم الشديد من المسلمين في صدورهم، ولكنهم لا يخافون الله سبحانه وتعالى مع أنه أحق بأن يخاف منه.

٣) في جبنهم أمام المؤمنين والمسلمين، والبأس والعنف والقسوة في العلاقة فيما بينهم.

٤) في الاتحاد الظاهري فيما بينهم، حيث عبّر عنه القرآن بـ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا**﴾ ولكنهم في اختلاف شديد وقلوب شتى.

والتعبيرات القرآنية عن هذه الازدواجية متعددة، بيد أنها تكشف جميعها عن الشخصية المزدوجة للمنافقين.

وأيضاً كشفت الآيات الكريمة أن خوفهم من المسلمين أشد من خوفهم من الله عز وجل، وهذا يكشف عن حالة عقائدية لديهم، وهي نظرتهم المادية للأشياء، ونتيجتها تحصل لديهم تلك الرهبة من المسلمين، بعدما شاهدوه من انتصاراتهم التي حققوها في بدر على الشرك والمشركين.

أما الجانب المعنوي المتمثل في إدراك الحقيقة الإلهية، وكونها حقيقة مهيمنة على الكون كله، وأن قوة المسلمين مستمدة منها، فليس للمنافقين نصيب منه، ومن هنا يصفهم القرآن بأنهم لا يفقهون.

وكذلك أشارت آيات المقطع إلى مجموعة من الأبعاد والمواصفات الأخلاقية التي برزت على سلوكهم ومواقفهم، كحالة الجبن والاختلاف فيما بينهم، والبأس والشدة في علاقتهم.

ولكن من الأفضل الإشارة إلى خصوصية مهمة تعتبر محوراً لكل

الجوانب الأخلاقية، وهي الوفاء بالعهود والمواثيق، وعلى ما يبدو من آيات قرآنية كثيرة، أنها من أهم القضايا الأخلاقية، وقد ذكرت الآيات الكريمة أن نقض العهود والمواثيق خلق المنافقين، حيث مثلهم القرآن بالشيطان، وبين أن خلفيتهم الأخلاقية في واقعها خلفية شيطانية، فكما أن الشيطان لا يفي بوعده مع الله، ولا مع الناس، كذلك المنافقون لا يفون بالوعود، ولا يلتزمون بالعهود، وأن أصل موقفهم ـ من الإسلام والرسالة المحمدية ـ ومنطلقه هذا الجانب الأخلاقي، وبالتالي فهم يجسدون الأخلاق الشيطانية.

المقطع الرابع

تأثير
القرآن الكريم في النفوس

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

يدور الكلام في المقطع الشريف حول موضوعين بينهما نحو من الارتباط، فالآيات الثلاثة الأولى منه تتحدث عن الفوز يوم القيامة، والآيات الأربع الباقية تتناول مدى تأثير القرآن الكريم، وسيكون بحث المقطع الشريف من جهات ثلاث:

الجهة الأولى: بحث المفردات

المفردة الأولى: مفردة (النسيان) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

يذكر بعض المفسرين أن النسيان: هو زوال صورة المعلوم في النفس بعد حصولها فيها[1]. فالنفس بطبيعتها تنطبع فيها الأشياء وتستقر وتُكوّن لها

---

(١) تفسير الميزان١٩: ٢١٩.

لم يرد بيان النسيان بهذا التعبير المنطقي في كتب اللغة، وجاء: ((النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد، حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال نسيته نسياناً، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ ⇦

صورة، فالحالة التي فيها تزول صورة تلك الأشياء أو المعلومات المنطبعة في النفس منها بعد ثباتها يعبّر عنها بالنسيان.

المفردة الثانية: مفردة (الفوز) الواردة في قوله تعالى: **﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**.

الفوز لغة: هو الظفر بالخير مع حصول السلامة[1]. واستعمل القرآن الكريم الفوز في موارد عديدة[2]، ومن هنا قيل: بأن الفائزين هم المدركون

لَهُ عَزْمًا﴾ ـ **﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ﴾** ـ **﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾** ـ **﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾** ـ **﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾** ـ **﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾** ـ **﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾**) إخبار وضمان من الله تعالى أنه يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق)). مفردات غريب القرآن:٤٩١.

وفي كتاب العين جاء: ((وسمي الإنسان من النسيان. والإنسان في الأصل: إنسيان، لأن جماعته: أناسي وتصغيره أنيسيان، يرجع المد الذي حذف وهو الياء، وكذلك إنسان العين، جمعه: أناسي، قال:

إذا استوحشت آذانها استأنست لها ..... أناسي ملحود لها في الحواجب

وقال الله عز وجل: **﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾**.

والإنسان: صخرة في رأس الجبل، قال:

علوت على إنسان نيق مثبت ..... ربيئة أقوام يخافون من دهم

والإنسان: الأنملة، قال:

تمري بإنسانها إنسان مقلتها ..... إنسانة في سواد الليل عطبول)).

كتاب العين ٧: ٣٠٤ـ٣٠٥.

(١) مفردات غريب القرآن:٣٨٧.

(٢) ومن الموارد التي جاءت فيها بنفس الصيغة:

قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**. النور:٥٢.

وقوله تعالى: **﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**. المؤمنون:١١١.

وقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**. التوبة:٢٠.

لما طلبوا وأرادوا، والمجتنبون والناجون مما حُذّروا منه، فـ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي أصحاب الجنة هم الذين يدركون ما طلبوا من رضوان الله سبحانه وتعالى، و المراتب العالية في الدار الآخرة، وما فيها من لذات ونعيم أعدّه الله سبحانه وتعالى، وهم الذين نجوا مما حُذّروا منه، من العقاب ودخول النار، ومن كل ما يترتب على مخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى[1].

المفردة الثالثة: مفردة (التصدّع) الواردة في قوله تعالى: ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً﴾.

---

(١) وقد ذكرت الروايات مصداق الفائزين: فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: **((كنّا عند النبيﷺ فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبيﷺ قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة، فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ثم قال: إنه أولكم إيمانا معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية.قال: ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾. قال: فكان أصحاب محمدﷺ إذا أقبل علي، قالوا: قد جاء خير البرية))**. تاريخ مدينة دمشق٤٢: ٣٧١، وفي الدر المنثور ورد: **((**أخرج ابن مردويه عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أما تقرئين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبيﷺ، فاقبل علي، فقال النبيﷺ: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة، ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبيﷺ إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا على خير البرية * وأخرج ابن عدي عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول اللهﷺ لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه عن علي، قال: قال لي رسول اللهﷺ: ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين)). الدر المنثور٦: ٣٧٩.

التصدع لغة: هو حالة التفكك والتفريق[1]. ويعبّر عن التفرق الذي يصيب الشيء المتماسك(المحكم) بالتصدع، وعن الشيء إذا أصابه التفكك والتضعضع بالمتصدع، فالقرآن الكريم إن أُنزل على جبل سيصاب ذلك الجبل بالتصدع والتفكك والتضعضع.

الجهة الثانية: البحث التفسيري

نتناول في هذه الجهة التفسير الإجمالي لآيات المقطع الشريف.

الآية الأولى: محاسبة النفس بين تقويين

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تشتمل الآية المباركة على نقاط أربع:

النقطة الأولى: الأمر بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

لقد فسّر علماء القرآن التقوى: بأنها عبارة عن اجتناب المعاصي والنواهي التي نهى الله عنها، والالتزام بالأوامر والواجبات الإلهية التي فرضها سبحانه وتعالى على عباده، وإن كانت كلمة التقوى بحسب مضمونها اللغوي تعني الاتقاء والتدرع. وبالتالي فهي عبارة عن التورع عن الوقوع في المحارم، وفي مخالفة الله سبحانه وتعالى، ولكن مضمونها القرآني والإسلامي بحسب محتوى المفاهيم الإسلامية هو اجتناب المعاصي والالتزام بالواجبات والأوامر الإلهية، وبالتالي التقوى هي اتقاء مخالفة الله والوقوع في ما نهى عنه.

---

(١) جاء في مادة (صدع): ((صدع الشيء فتصدع: فرقه فتفرق. والتصديع: التفريق. وفي حديث الاستسقاء: فتصدع السحاب صدعاً أي تقطع وتفرق)). لسان العرب ٨: ١٩٥.

النقطة الثانية: محاسبة النفس: ﴿**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾.

يراد من الفقرة الشريفة الأمر بالمحاسبة كما هو الظاهر؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر الإنسان بأوامر معينة، وفي ذات الوقت نهاه عن أشياء محددة، وعلى الإنسان النظر في كل وقت من حياته، وكل مرحلة من مسيرته إلى ما قدمه لغد.

وقد ذكر المفسرون[١] أن المراد بـ(غد) هو اليوم الآخر، وجاء التعبير القرآني بذلك، مع أن الغد يعني اليوم المقبل القريب، باعتبار أنه شيئاً قريباً بنظر الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً**﴾[٢].

فالتعبير عنه بهذه الصيغة الدالة على القرب؛ لأنه بالنظرة الإلهية الشاملة لكل أنحاء الوجود، يعتبر يوماً قريباً.

وذكر بعض المفسرين أن (ما) الواردة في الآية مورد البحث هي ما الاستفهامية[٣]، فكأنه يجب على الإنسان أن يسأل نفسه دائماً، ماذا قدم لليوم الآخر؟

وذهب بعضهم إلى أنها ما الموصولة[٤]، ويمكن تبديلها بكلمة (الذي) فيكون المعنى: (فلتنظر النفس الذي قدمته إلى غد).

وعلى كلا التقديرين المعنى واحد، وهو: وجوب محاسبة الإنسان نفسه،

---

(١) كالطوسي في تبيانه٩: ٥٧١، والطبرسي في مجمعه٩: ٤٣٩، ومقاتل في تفسيره ٣: ٣٤٣، والرازي في تفسيره ٢٩: ٢٩١، وذكر الكاشاني والبيضاوي: ((أنه سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده، أو كما عبّر غيرهما كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد)). التفسير الأصفى٢: ١٢٨٧، وتفسير البيضاوي: ٣٢٣.

(٢) المعارج:٦ــ٧.

(٣) الشوكاني في فتح القدير٥: ٢٠٥، وأبو السعود في تفسيره ٨: ٢٣٢.

(٤) كمقاتل في تفسيره٣: ٣٤٣، والسمرقندي في تفسيره ٣: ٤٠٩.

بأن يرى الأشياء الصالحة التي قدمها لليوم الآخر، فيهتم بها، ويضيف إليها أعمالاً صالحة أخرى ويطورها، وفي الوقت ذاته ينظر ما الذنوب والسيئات والأشياء الطالحة التي صدرت منه، والتي فيها مخالفة لله سبحانه وتعالى، فيعمل على اجتنابها وعلى تدارك ما صدر منه من ذنوب وسيئات ومعاصي.

فالأمر في هذه الفقرة الشريفة إنما هو أمر بمحاسبة النفس، وبمراجعة ما صدر منها من أعمال، ودراسة لتلك الأعمال وملاحظتها بشكل دقيق، حتى يتبين له الصالح منها من الطالح، ويحاول تدارك أمره في مستقبل مسيرته.

وقد أشار العلامة الطباطبائي قدس سره[1] إلى نكتة لطيفة ودقيقة في هذه الفقرة، وهي:

أن الآية تدل على أن الذين يحاسبون أنفسهم وينظرون في ما قدموا من أعمال ليوم القيامة، هم قلة من الناس بل قلة من المؤمنين، والقرينة على ذلك:

---

(١) حيث قال: ((وهذا تكليف عام يشمل كل مؤمن لحاجة الجميع إلى إصلاح العمل وعدم كفاية نظر بعضهم عن نظر الآخرين، غير أن القائم به من أهل الإيمان في نهاية القلة، بحيث يكاد يلحق بالعدم، وإلى ذلك يلوح لفظ الآية ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾.

فقوله: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ خطاب عام لجميع المؤمنين، لكن لما كان المشتغل بهذا النظر من بين أهل الإيمان، بل من بين أهل التقوى منهم في غاية القلة بل يكاد يلحق بالعدم لاشتغالهم بأعراض الدنيا واستغراق أوقاتهم في تدبير المعيشة وإصلاح أمور الحياة ألقى الخطاب في صورة الغيبة وعلقه بنفس ما منكرة، فقال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ﴾ وفي هذا النوع من الخطاب مع كون التكليف عاما بحسب الطبع عتاب وتقريع للمؤمنين مع التلويح إلى قلة من يصلح لامتثاله منهم)). تفسير الميزان١٩: ٢١٨.

أولاً: الإبهام والتنكير في كلمة نفس في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ**﴾؛ لأن أغلب الناس يغفلون عن قضية محاسبة النفس ومراجعتها[1].

ثانياً: الانتقال من الخطاب إلى الغيبة فيه إشعار بالقلة؛ لأن الآية الكريمة تبدأ بالخطاب ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ وبعد ذلك تنتقل إلى الغيبة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾.

فهاتين القرينتين في الآية تدلان على قلة الذين يحاسبون أنفسهم ويهتمون بمراجعتها.

فالإنسان بشكل عام يعيش حالة الغفلة من خلال انخراطه في أعماله اليومية، وشؤون الدنيا وظروفها المحيطة به، وانخراطه في ملذاته وشهواته، فيغفل عن محاسبة النفس ومراجعتها والنظر لما قدّم، ومن هنا جاء التأكيد والحث من القرآن الكريم على هذه المحاسبة.

النقطة الثالثة: الأمر بتقوى الله: ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾.

لقد وقع الكلام بين المفسرين في المراد من الأمر بالتقوى مرة أخرى، وما هي النسبة بين هذا الأمر، والأمر الأول بالتقوى الذي جاء في بداية الآية الشريفة؟

طرح في المقام عدة احتمالات:

---

(١) وفي تنكير النفس في الآية ذكر ابن المنير الاسكندري: ((قوله تعالى: ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغد**﴾ فإنما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر في معاده، وكذلك قوله ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ حتى ورد في التفسير أن المراد أذن واحدة مخصوصة، وهي أذن علي بن أبي طالب عليه السلام)). الإنصاف فيما تضمنه الكشاف ١: ٤٥٢.

الأول: إن الأمر الأول بالتقوى أمر ابتدائي في الورع عن محارم الله والالتزام بأوامره، بينما الأمر الثاني أمر بالتوبة بعد وقوع الإنسان في المعصية، حيث يفترض بالإنسان بعدما ينظر إلى ما قدمت نفسه لغد، ويتبين له وقوعه في بعض الذنوب والمعاصي أن يترك ذلك ويتجنبه، فالأمر الثاني بالتقوى هو وجوب التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى من تلك المعاصي[١].

الثاني: أن الأمر الأول بالتقوى هو للاتقاء من المحرمات والذنوب والمعاصي، وأما الأمر الثاني بها فهو بمعنى الالتزام بالأوامر والواجبات الإلهية، حيث تقول الآية: ﴿**وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**﴾ وبالتالي فما يقدمه الإنسان لغد، إنما هو الأعمال الصالحة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها، فعندما يتبين له تركه بعضها من خلال المراجعة، يأتي الأمر الثاني بالتقوى، أي إإتي بهذه الأعمال والتزم بها وقدمها، فهو أمر بالالتزام بالأوامر والواجبات الإلهية.

الثالث: أن الأمر الثاني بالتقوى هو مجرد تأكيد للأمر الأول دون أن يتضمن مضمونا جديداً آخرا غير ما تضمنه الأمر الأول. فاتقوا الله الثانية؛ إنما هي تأكيد وبالتالي لبيان أهمية التقوى[٢].

الرابع: أن الأمر الأول هو الاتقاء في الإتيان بالإعمال الواجبة واجتناب الأعمال المحرمة، وأما الأمر الثاني فيراد منه التأكد عند المراجعة والمحاسبة، والنظر فيما جاء به من أعمال، هل جاء بها بنية

---

(١) وحكي عكسه أي أن الأمر الأول هو للتوبة، والثاني للإتقاء والتجنب من المعاصي، ويقرب أن يكون ما في المتن منه.

(٢) كالطوسي في التبيان ٩: ٥٧١، كالرازي في تفسيره٢٩: ٢٩١.

القربة لله تعالى وبشروطها التي تجعلها أعمالا صالحة مفيدة ومثمرة أولا[١]؟

وبالتالي فاتقوا الله يعني اتقوا الله في النظر في صلاح هذه الأعمال وكونها على الوجه الصحيح، واتقوا الله في النظر إلى نياتكم عند إتيانكم لهذه الأعمال وإخلاصكم لله سبحانه وتعالى في هذا الأمر؛ لأن المحاسبة في الواقع، إنما تكون في مثل هذه الخصوصيات، ككون الأعمال الصالحة جاء بها الإنسان بنية خالصة لله تبارك وتعالى حتى تتحقق التقوى[٢] بشكل كامل أو لا؟

---

(١) ذكر العلامة الطباطبائي في ذلك ما نصه: ((وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أمر بالتقوى ثانيا و﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ﴾ الخ، تعليل له، وتعليل هذه التقوى بكونه تعالى خبيرا بالأعمال يعطي أن المراد بهذه التقوى المأمور بها ثانيا هي التقوى في مقام المحاسبة والنظر فيها من حيث إصلاحها وإخلاصها لله سبحانه، وحفظها عما يفسدها، وأما قوله في صدر الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فالمراد به التقوى في أصل إتيان الأعمال بقصرها في الطاعات وتجنب المعاصي.

ومن هنا تبين أن المراد بالتقوى في الموضعين مختلف، فالأولى هي التقوى في أصل إتيان الأعمال، والثانية هي التقوى في الأعمال المأتية من حيث إصلاحها وإخلاصها)). تفسير الميزان١٩: ٢١٩.

(٢) وذكر في كتب التفسير: ((إن جوهر التقوى شيئان:

١ــ ذكر الله تعالى، وذلك بالتوجه والانشداد إليه من خلال المراقبة الدائمة منه، واستشعار حضوره في كل مكان وفي كل الأحوال.

٢ــ الخشية من محكمة عدله ودقة حسابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها في صحيفة أعمالنا. ولذا كان التوجه إلى هذين الأساسين ــ المبدأ والمعاد ــ على رأس البرامج التربوية للأنبياء والأولياء؛ وذلك لتأثيرهما العميق في تطهير الفرد والمجتمع)). راجع الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل١٨: ٢١١ ــ ٢١٢.

النقطة الرابعة: نظر الله ومراقبته للناس. ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾.

يؤكد القرآن الكريم على أنّ الله سبحانه وتعالى هو الناظر والمراقب لأعمال الناس، وبالتالي فعندما يحاسب الإنسان نفسه، وينظر فيما قدّم لليوم الآخر، فلا يتصور أن ما يصنعه ـ من المحاسبة ـ شيئاً خارجاً عن علم الله تبارك وتعالى؛ لأنه تعالى مطلع عليه، وبالتالي فهذه المحاسبة تنفع الإنسان؛ وذلك في أن تجعل عمله وسلوكه متطابقاً مع ما في علم الله سبحانه وتعالى، إذ إنه تعالى رقيب وناظر وعالم بأفعال الإنسان، لا يفوته شيء منها.

وهذه المحاسبة إنما هي لمنفعة الإنسان لا لمنفعة الله الذي لديه العلم الكامل والمعرفة الكاملة بسلوك الإنسان وفعله، فهي تجعل الإنسان أكثر خبرة بما صدر عنه من أفعال، وأكثر معرفة بمستقبل أمره.

الآية الثانية: أثر نسيان الله

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾. تتضمن الآية الشريفة فقرات ثلاثة:

الفقرة الأولى: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ**﴾.

لقد وقع الكلام بين المفسرين في تحديد المراد من الاسم الموصول (الذين)؟

فذكر في ذلك احتمالات:

الأول: أنهم هم اليهود من بني القينقاع وبني النظير وبني قريضة[1]، باعتبار أن هذه السورة الشريفة في مقاطعها السابقة تحدثت عن بني النظير

---

(١) تفسير الميزان ١٩: ٢٢٠. وحكاه الطبرسي قدس سره عن ابن عباس في مجمع البيان ٩: ٤٣٩.

الذين اخرجوا لأول الحشر، وتحدثت عن بني القينقاع، وفيما جرى عليهم بعد غزوة بدر، فالقرآن الكريم أراد التنبيه على أن الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يكون حاله كحال هؤلاء.

الثاني: أن المراد من (الذين) هو الأعم من اليهود والمنافقين؛ لأن السورة الشريفة تحدثت عن اليهود والمنافقين.

الثالث: أن المراد من ذلك الأعم من اليهود والمنافقين والمشركين الذين أشار إليهم القرآن الكريم[١]، باعتبار أن الآية الشريفة جاءت بشكل مطلق.

ولعل الأظهر والأفضل من هذه الاحتمالات هو الاحتمال الثالث[٢]؛ لأنه احتمال شامل. وبالتالي فما أراد القرآن بيانه هو أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون حاله حال اليهود أو المنافقين أو المشركين.

---

(١) قد يستفاد هذا من كلام ابن عطية الأندلسي، حيث قال: ((الذين نسوا الله هم الكفار)). المحرر الوجيز٥: ٢٩١.

(٢) أشار الشنقيطي إلى ذلك قائلا: ((نص القرآن على أن الذين نسوا الله هم المنافقون في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ وهذا عين الوصف الذي وصفوا به في سورة الحشر. وقوله تعالى: ﴿**فَنَسِيَهُمْ**﴾ أي أنساهم أنفسهم؛ لأن الله تعالى لا ينسى ﴿**لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾.

وقد جاء أيضا: وصف كل من اليهود والنصارى والمشركين بالنسيان في الجملة، ففي اليهود يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ**﴾ وفي النصارى يقول تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ**﴾ وفي المشركين يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ فيكون التحذير منصباً أصالة على المنافقين وشاملاً معهم كل تلك الطوائف لاشتراكهم جميعاً في أصل النسيان)). راجع أضواء البيان ٨: ٥٤ ــ ٥٥.

الفقرة الثانية: قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

نجد للمفسرين عند ملاحظة كلماتهم تعبيرات متعددة في مقام بيان المصداق الخارجي للنسيان المشار إليه، وذكر بعضهم عدة أقوال أو احتمالات، وزاد فيها على العشرة، وإن كان يتداخل بعضها مع البعض الآخر، ونشير هنا إلى بعضها:

الاحتمال الأول: ذكره العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان، حيث قال:((لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى، إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماؤه الحسنى وصفاته العليا التي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتية من الذلة والفقر والحاجة، فيتوهم الإنسان نفسه مستقلة في الوجود، و يخيل إليه أن له لنفسه حياة وقدرة وعلماً وسائر ما يتراءى له من الكمال، ونظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونية الظاهرية تؤثر فيه وتتأثر عنه. وعند ذلك يعتمد على نفسه، وكان عليه أن يعتمد على ربه، ويرجو ويخاف الأسباب الظاهرية، وكان عليه أن يرجو ويخاف ربه، يطمئن إلى غير ربه، وكان عليه أن يطمئن إلى ربه.

وبالجملة ينسى ربه والرجوع إليه، ويعرض عنه بالإقبال إلى غيره، ويتفرع عليه أن ينسى نفسه، فإن الذي يخيل إليه من نفسه أنه موجود مستقل الوجود، يملك ما ظهر فيه من كمالات الوجود، واليه تدبير أمره، مستمداً مما حوله من الأسباب الكونية، وليس هذا هو الإنسان، بل الإنسان موجود متعلق الوجود، جهل كله، عجز كله، ذل كله، فقر كله، وهكذا، وما له من الكمال كالوجود والعلم والقدرة والعزة والغنى وهكذا، فلربه وإلى ربه انتهاؤه، ونظراؤه في ذلك سائر الأسباب الكونية.

والحاصل: لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حوّل النهي عن نسيان النفس في الآية إلى النهي عن نسيانه تعالى؛ لأن انقطاع المسبب بانقطاع

سببه أبلغ وآكد، ولم يقنع بمجرد النهي الكلي عن نسيانه بأن يقال: ولا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم، بل جرى بمثل إعطاء الحكم بالمثال؛ ليكون أبلغ في التأثير وأقرب إلى القبول، فنهاهم أن يكونوا كالذين نسوا الله مشيراً به إلى من تقدم ذكرهم من يهود بني النضير وبني قينقاع، ومن حاله حالهم في مشاقة الله ورسوله، فقال: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ**﴾ ثم فرّع عليه قوله: ﴿**فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾ تفريع المسبب على سببه))[1].

وهذا المعنى الجميل والطريف وإن كان في نفس الوقت يتفق مع الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم عندما يغفل الإنسان، وينسى الصفات والأسماء الحسنى الإلهية، وما ستؤدي به هذه الغفلة، من الغفلة عن نفسه، إلا أن القرآن الكريم بدل النهي عن الغفلة عن النفس، نهى عن نسيان الله سبحانه وتعالى، باعتبار أن نسيان الله يسبب نسيان النفس، فالنهي في الواقع إنما هو نهي عن المسبب بلغة النهي عن السبب، وهذا النوع من النهي أبلغ وآكد.

الاحتمال الثاني: أن المراد من النهي عن نسيان الله سبحانه هو النهي عن نسيان عقاب الله، والحساب الذي سيحاسب به الإنسان، باعتبار أن الباري عز وجل أعدّ للإنسان يوماً يكون فيه الجزاء، وهو يوم القيامة.

فنسيان الله يراد منه نسيان يوم القيامة والحساب والجزاء الذي أعدّه الله تبارك وتعالى للإنسان، ولعل القرينة على ذلك هي ما أشير إليه في الآية السابقة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ حيث إن الآية مورد البحث جاءت في سياقها مؤكدة لها: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.

---

(١) تفسير الميزان ١٩: ٢١٩.

فالإنسان الذي ينسى الله هو ذلك الإنسان الذي ينسى يوم غده، ولا يقدم له، وينسى أحكام الله وأوامره التي أمره بها، وما يترتب على مخالفتها من عقوبات، وما يترتب على إطاعتها من مثوبات.

هذا النوع من النسيان قد يؤدي بالإنسان إلى أن ينسى نفسه عن القيام بالإعمال الصالحة التي تنفعه يوم القيامة ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ**﴾ أي لا تكونوا كالذين نسوا عقاب الله وغفلوا عنه، ونسوا أوامره وأحكامه، فأنساهم الله سبحانه وتعالى أنفسهم، حيث نسوا أن يسيروا في الطريق الصحيح، بقيامهم بالعمل الصالح الذي ينتهي بهم إلى المراتب العالية، وينتهي بهم إلى الكمالات الإلهية التي أرادها الله سبحانه وتعالى للإنسان.

وبناء على ما تقدم يكون المراد من نسيان الله نسيان عقابه، ويكون المراد من نسيان النفس نسيان السلوك الذي يؤدي بها إلى الكمالات، ونسيان الإتيان بالإعمال الصالحة التي تترتب على ذلك السلوك الصالح.

ولعل هذا الاحتمال هو الأظهر إذا لاحظنا السياق الذي جاءت به هذه الآية الكريمة.

الاحتمال الثالث: أنهم نسوا حق الله فأنساهم الله سبحانه وتعالى حق أنفسهم من المصالح[١].

الاحتمال الرابع: نسوا الله، أي نسوه تعالى في الرخاء، فأنساهم أنفسهم في الشدائد[٢].

وهذان الاحتمالان وغيرهما من الاحتمالات[٣]، إن كانت ترجع إلى

---

(١) التفسير الكبير ٢٩: ٢٩١، جامع البيان٢٨: ٦٨.

(٢) نقله القرطبي في تفسيره ١٨: ٤٣، والشوكاني في فتح القدير٥: ٢٠٦.

(٣) من الاحتمالات التي ذكرت في المقام:

الرأي المختار الذي تقدم، فعندئذٍ لا يكون بينها وبينه فرق، وأما إذا أريد منها معنى آخر، فلا يمكننا فهمه من هذه الآية الشريفة بشكل مباشر، إلا بشيء من التكلف والمجاز والإضافة وما أشبه ذلك.

الفقرة الثالثة: قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.

يذكّر القرآن الكريم هنا بأن أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ينطبق عليهم عنوان الفاسقين، وهذا الانطباق عليهم شيء واضح، سواء أخذنا بتفسير العلامة الطباطبائي أو بالمعنى الذي أشرنا إليه، حيث إن الإنسان عندما ينسى نفسه، سوف يخرج عن النظام الصحيح، وعن الحدود

الأول: نسوا الله أي تركوا أداء حقه فأنساهم أنفسهم بان حرمهم حظوظهم. التبيان٩: ٥٧١.

الثاني: نسوا حقه فخذلهم. جوامع الجامع٣: ٥٣٩.

الثالث: تركوا العمل بأمر الله فتركهم الله عز وجل عن ذكره. تفسير مقاتل٢: ٥٧.

الرابع: تركوا عهد الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم فأنساهم حالهم حتى لم يعملوا لأنفسهم ولم يقدموا لها خيرا. تفسير السمرقندي٣: ٤٠٩.

الخامس: تركوا ذكر الله بالإخلاص من قلوبهم فتركهم من أن يذكروها بالإخلاص له. تفسير ابن زمنين٤: ٣٧٣.

السادس: نسوه عند الذنوب فأنساهم الله الاعتذار وطلب التوبة، عن سهل. تفسير السلمي٢: ٣٢١.

السابع: نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا له بالطاعة فنسيهم في الآخرة، ولم يجعل لهم في ثوابه نصيبا. تفسير العياشي٢: ٩٦.

الثامن: بترك ذكره بالشكر والتعظيم، فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضا. مجمع البيان٩: ٤٣٩.

التاسع: اغفلوا ذكره فتركهم من رحمته وفضله. الكشاف ٢: ٢٠٠.

العاشر: نسوا نعم الله فأنساهم شكر النعم، عن سهل. تفسير السلمي١: ٢٨٠.

الحادي عشر: بالاحتجاب بالشهوات الجسمانية، والاشتغال باللذات النفسانية فحسبوا أنفسهم البدن وتركيبه ومزاجه. تفسير ابن عربي٢: ٣١٢.

الشرعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى له، وهذا هو الفسق؛ لأن الفسق هو الخروج[١].

وأما استخدام هذه الصيغة في مقام بيان هذه الحقيقة فهو من الاستخدامات البليغة، حيث نجد أن القرآن الكريم:

أولاً: عبّر عن الحقيقة المتمثلة بالنسيان، التي تعبّر عن حالة الخروج عن الحدود والنظام الذي يحكم حركة الإنسان وواقع وجوده، بناء على تفسير العلامة الطباطبائي، أو يحكم سلوك الإنسان وتصرفاته، بناء على ما اخترنا من تفسير، حيث يراد من ذلك مخالفته للأحكام والأوامر الشرعية. وكيفما كان فهو خروج عن الحدود؛ لذا يعبر عنه بالفسق.

ثانياً: قد بيّن هذا الأمر بلسان الحكم، ثم بلسان ندم ذلك الإنسان[٢]، ولم يكن مجرد بيان للحقيقة وحسب، وهذا يكون أبلغ في مقام التعبير عن النهي والردع للإنسان؛ لئلا يقع في مثل هذه المخالفة.

الآية الثالثة: الفائز يوم القيامة

قال تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾.

تبين الآية الشريفة حقيقتين في ضمن مفردتين رئيسيتين:

الحقيقة الأولى: أن أصحاب النار وأصحاب الجنة ليسوا سواء، بل يكون احدهما متميزا على الآخر، غير أن الآية لم توضح من هو المتميز، هل أن أصحاب النار يمتازون على أصحاب الجنة أو أن أصحاب الجنة يمتازون

---

(١) الفسق هو الخروج عن الدين أو الميل إلى المعصية كما فسق إبليس عن أمر ربه. لسان العرب ١٠: ٣٠٨.

(٢) لعله إشارة إلى قوله تعالى:

على أصحاب النار؟

الحقيقة الثانية: معرفة الفائز من هذين النوعين ـ أصحاب الجنة وأصحاب النار ـ وهنا يطرح المفسرون تساؤلاً حول من هم أصحاب النار، ومن هم أصحاب الجنة؟

من خلال السياق نفهم أن المراد من أصحاب النار هم الناسون لله سبحانه وتعالى، وبالتالي الناسون لأنفسهم.

أما أصحاب الجنة فهم الذاكرون لله عز وجل، باعتبار ما أشير إليه في الآيات السابقة، وبقرينة ما في المفردة الثانية ـ الفائزون ـ من هذه الآية الشريفة.

فالظاهر من أصحاب الجنة هم أولئك الفائزون الذاكرون لله بقرينة السياق، حيث إنه في الآية السابقة نهى القرآن الكريم عن نسيان الله الذي يؤدي بدوره إلى نسيان النفس، وهذا النهي بحسب الحقيقة يتضمن أمراً بذكر الله عز وجل؛ لأن النهي عندما يكون عن شيء لا شك يكون فيه إشارة إلى الأمر بضده[1].

فبحسب الفهم العرفي والقرينة العرفية أن النهي عن نسيان الله سبحانه وتعالى فيه دلالة على أن الإنسان مأمور بذكر الله، بل يوجد نص على الأمر بذلك في الآية التي قبلها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ**

---

(١) تناول علماء العامة هذا البحث واتفقوا على الدلالة إذا كان للشيء ضد واحد واختلفوا فيما إذا كان له أكثر من ضد واحد.

أما علماء الأمامية فيبحثون عكس ذلك ــ أي الأمر بالشيء هل يقتضي النهي عن ضده ــ ضمن أبحاث الدليل العقلي، واتفق علماء الأصول على عدم الدلالة وعدم استلزام النهي عن الشيء للأمر بضده، بأن يكون هناك أمر شرعي يلزم ذلك النهي الشرعي؛ لأن ارتكاب ذلك يقتضي مخالفتان وعقوبتان وهو واضح البطلان.

﴿مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وعلى ما تقدم في تفسير هذه الآية بأن فيها دلالة على وجوب ذكر الله والانتباه إلى أوامره، من أجل اتقاء الوقوع في ما نهى الله عنه، وهذا الأمر يمكن أن يكون قرينة على أن المراد من أصحاب النار هم أولئك الناسون لله، وأصحاب الجنة هم أولئك الذاكرون لله، وبقرينة قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ نعرف بأن الرجحان إنما هو لأصحاب الجنة، حيث إنهم هم الذاكرون لله سبحانه وتعالى، ولما ذكر من المعنى اللغوي للفوز. فأصحاب الجنة هم الذين أدركوا ما طلبوا من المراتب العالية واللذات والنعيم، وهم الذين نجوا مما حذروا منه.

الآية الرابعة: عظمة القرآن وتأثيره

قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

---

(١) لقد ذكر في فضل هذه الآية وما بعدها عدة روايات تكشف عن أن لها فضلاً عظيماً تمتاز به عما سواها من آيات هذه السورة الكريمة، ومن تلك الروايات:

عن جابر بن يزيد الجعفي عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((قال لي: يا جابر! قلت: لبيك يا بن رسول الله. قال: اقرأ على كل ورم آخر سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ واتفل عليها ثلاثا فإنه يسكن بإذن الله تعالى)). تفسير نور الثقلين٥: ٢٩٤،ح٨٢.

عن أبي أمامة قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تعوذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، ثم ⇦

عند التدقيق في الآية نجد أنها تشتمل على فقرتين رئيسيتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾.

وهي تشير إلى أن إنزال القرآن الكريم على النبي محمدﷺ، ومن ثم على البشرية؛ إنما هو لأجل إرشادها إلى الطريق الحق والطريق المستقيم، وله من التأثير بحيث أنه لو أُنزل على جبل من الجبال لتصدع، ولقد أريد من هذا التعبير ـ كما يذكر بعض المفسرين ـ تصوير حالة تأثر وانفعال ذلك الموجود الصلب (الجبل) بالقرآن الكريم[1].

الثانية: قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

فقد بينت الفقرة الشريفة أن ما أشير إليه في الفقرة الأولى كان تمثيلا

قرأ آخر سورة الحشر، بعث الله سبعين ملكاً يطردون عنه شياطين الإنس والجن، إن كان ليلا حتى يصبح، وإن كان نهارا حتى يمسي)). فتح القدير٥: ٢٠٩.

وأخرج ابن مردويه عن انس قال: ((قال رسول اللهﷺ: من قرأ آخر سورة الحشر، ثم مات من يومه وليلته، كفر عنه كل خطيئة عملها * وأخرج ابن السني في عمل يوم وليلة، وابن مردويه عن أنس: أن رسول اللهﷺ أمر رجلا إذا أوى إلى فراشه أن يقرأ آخر سورة الحشر، وقال: إن مت مت شهيدا)). در المنثور٦: ٢٠٢.

وأخرج البيهقي من حديث أبي أمامة: ((من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة)). الإتقان في علوم القرآن ٢: ٤١٢.

قال أبو الأشهب: حدثنا يزيد الرقاسي عن أنس أن رسول اللهﷺ قال: ((من قرأ آخر سورة الحشر: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**﴾ إلى آخرها، فمات من ليلته مات شهيدا)). تفسير الثعلبي ٩: ٢٨٩.

(١) ذكر العلامة الطباطبائي بأن هذا الكلام يراد منه التصوير والتخييل والتمثيل، لا بيان لحقيقة خارجية، بل يراد منه تقريب الأمر بقرينة ذيل الآية قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾. منه.

وتشبيها أريد منه تقريب الصورة إلى الأذهان بهذا النحو من التخيل.

وجه الارتباط

ويبدو للوهلة الأولى أن القرآن استأنف حديثاً جديداً في هذه الآية، حيث إن ما بعدها غير متصل بما تقدمها من الآيات، ولكن عند التأمل والتدقيق في الآية الشريفة، وما جاء بعدها من الآيات، يكشف عن ارتباط واضح بينها وبين الآيات السابقة، بل بينها وبين السورة الشريفة؛ إذ إن الآية مورد البحث تبين بمضمونها الكلي أن القرآن الكريم بما يحتويه من مضامين، ومن أسماء حسنى ومن مواعظ وإرشادات، ومن حكم وسنن في التاريخ، له هذا التأثير العظيم، بحيث لو ينزّل على جبل رغم خلوه من العقل والإدراك؛ لأصابه الانفعال والتأثر، وتصاب قسوته وصلابته وحالة الإحكام الموجودة فيه بالتفكك والتصدع والتفطّر.

ويمكن معرفة الارتباط بين هذا المضمون ومضامين الآيات السابقة، من خلال العلاقة الوطيدة بينه وبينها، حيث إن القرآن الكريم في السورة المباركة أشار إلى موقف أهل الكتاب وموقف المشركين وموقف المنافقين المناوئ للإسلام ـ أي أوضح مجمل مواقف الفئات التي لم تنفعل بالقرآن ولم تتأثر به ـ وفي الآيات الأخيرة تناول الأمر بالتقوى ومحاسبة النفس وعدم نسيان الله سبحانه وتعالى، وبالتالي عدم نسيان النفس بسبب نسيان الله تعالى، وهذه المضامين كلها مرتبطة بقضية القرآن الكريم.

وقد أشارت الآية الكريمة ـ مورد البحث ـ إلى أن الأمر بالتقوى وعدم نسيان الله سبحانه وتعالى وعدم نسيان النفس؛ إنما ينطلق من أن القرآن بحسب طبيعته تتأثر به الموجودات الصلبة القاسية كالجبال، فكيف لا تتأثر به قلوب المؤمنين الذين يخافون الله سبحانه وتعالى التي هي بطبيعة الحال

قلوب خاشعة متأثرة بالقرآن منفعلة به، وبالتالي تصبح تقية نقية طاهرة ذاكرة لله تعالى، ومن ثم ذاكرة لنفسها، ذاكرة لحدودها، بخلاف القلوب القاسية للمشركين والكفار من أهل الكتاب، والمنافقين.

الآية الخامسة والسادسة والسابعة: أسماء الله الحسنى

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ورد في الآيات المباركة ذكر الأسماء الحسنى، وأن تعبير الأسماء الحسنى تكرر في أربعة مواضع من القرآن الكريم:

أولها: قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ثالثها: قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2].

رابعها: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[3].

حيث ورد في القرآن الكريم مجموعة منها، بلغت مئة وسبعة وعشرون

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) طه: ٨.

اسماً وصفة مع الأخذ بنظر الاعتبار:

أن بعضها جاء بشكل مفرد، من قبيل الرحمن، الرحيم، القوي، العزيز، الحكيم.

وبعضها جاء بشكل مركب، من قبيل رفيع الدرجات، ذو القوة المتين، وغير ذلك من التركيبات التي جاءت في مقام وصف الحق تعالى[1].

---

(١) ذكرها العلامة الطباطبائي بحسب الحروف الأبجدية: ((وهي:

أ ــ الإله، الأحد، الأول، الآخر، الأعلى، الأكرم، الأعلم، أرحم الراحمين، أحكم الحاكمين، أحسن الخالقين، أهل التقوى، أهل المغفرة، الأقرب الأبقى.

ب ــ البارئ، الباطن، البديع، البر، البصير. ت ــ التواب. ج ــ الجبار، الجامع.

ح ــ الحكيم، الحليم، الحي، الحق، الحميد، الحسيب، الحفيظ، الحفي.

خ ــ الخبير، الخالق، الخلاق، الخير، خير الماكرين، خير الرازقين، خير الفاصلين، خير الحاكمين، خير الفاتحين، خير الغافرين، خير الوارثين، خير الراحمين، خير المنزلين.

ذ ــ ذو العرش، ذو الطول، ذو الانتقام، ذو الفضل العظيم، ذو الرحمة، ذو القوة، ذو الجلال والإكرام، ذو المعارج.

ر ــ الرحمان، الرحيم، الرؤوف، الرب، رفيع الدرجات، الرزاق، الرقيب.

س ــ السميع، السلام، سريع الحساب، سريع العقاب.

ش ــ الشهيد، الشاكر، الشكور، شديد العقاب، شديد المحال. ص ــ الصمد. ظ ــ الظاهر.

ع ــ العليم، العزيز، العفو، العلي، العظيم، علام الغيوب، عالم الغيب والشهادة.

غ ــ الغني، الغفور، الغالب، غافر الذنب، الغفار.

ف ــ فالق الإصباح، فالق الحب والنوى، الفاطر، الفتاح.

ق ــ القوي، القدوس، القيوم، القاهر، القهار، القريب، القادر، القدير، قابل التوب، القائم على كل نفس بما كسبت.

ك ــ الكبير، الكريم، الكافي. ل ــ اللطيف.

م ــ الملك، المؤمن، المهيمن، المتكبر، المصور، المجيد، المجيب، المبين المولى، المحيط، المقيت، المتعال، المحيي، المتين، المقتدر، المستعان، المبدئ مالك الملك.

ونشير هنا إلى بعض الأبعاد المرتبطة بهذا الموضوع:

البعد الأول: أن تكرار هذه الأسماء في القرآن الكريم، يكشف عن تأكيد القرآن الكريم على أنها لله سبحانه وتعالى.

البعد الثاني: إن الاسم لفظ يدل على الذات أو على الذات المتلبسة بصفة من الصفات، فمن الأسماء ما يدل على مجرد الذات، كما يقال في لفظ الجلالة (الله) فهو يدل على الذات الإلهية دون الإشارة إلى صفة من صفاتها، وكذا بعض الأسماء المرتجلة مثل: زيد وعمرو وغيرها الدالة على ذات معينة، دون دلالة على أي صفة من صفاتها المتلبسة بها.

وبعضها فيه دلالة على الصفة، أي يدل على الذات بما هي متلبسة بصفة من الصفات أو بحالة من الحالات، بحيث تدل على الذات وما تلبست به من حال أو صفة، من قبيل العالم، الفاضل، الخالق، الرازق، الحي، القيوم، الملك،...الخ.

البعد الثالث: لمّا كانت الأسماء الحسنى لله تعالى، كما تدل عليه هذه الآيات الكريمة، نفهم أمور، منها:

أولاً: أن الأسماء الحسنى إنما هي عبارة عن تلك الألفاظ الدالة على الذات بما هي متصفة بوصف حسن، بل بوصف ليس فيه نقص أو عيب؛ لأن كلمة الحسنى لا تدل على مجرد الحسن، وإنما تدل عليه بما هو أحسن، وبالتالي فالصفات الإلهية هي نوع صفات تتصف بالحسن الذي لا يخالطه نقص أو عيب.

ولذا ذكر المحققون بأن الله سبحانه وتعالى لا يتصف بالصفات الحسنة

ن ــ النصير، النور. و ــ الوهاب، الواحد، الولي، الوالي، الواسع، الوكيل، الودود. هـ ــ الهادي)). تفسير الميزان ٨: ٣٥٧ــ ٣٥٨.

التي يكون فيها إشعار بنقص أو بعيب، من قبيل الشجاعة والعفة، فرغم أن الشجاع والعفيف أسماء حسنة، لا يوصف بهما الحق؛ لأنهما مشوبان بنقص وعيب، وهو التجسيم، فالشجاعة لا تكون إلا في الأرواح ذات الطبيعة الجسمانية، إذ من خلال الحركة الجسمية والإقدام على بعض الأعمال والتصرفات، يتصف الجسم بالشجاعة.

وهكذا العفة فهي من الصفات المرتبطة بالجسم أيضاً، فلما كانت فيه جوارح قد تخرج في تصرفاتها عن الحدود، فإن كان ملتزماً بتلك الحدود يوصف عندها بالعفيف. فهو وصف حسن، ولكونه مشوباً بالجسمانية لا يتصف به الحق تعالى ولا يوصف به.

ثانياً: أن هذا النوع من الأوصاف ـ أي الأوصاف الحسنة التي لا عيب فيها ولا نقص ـ منحصرة بالله سبحانه وتعالى، كما تدل عليه طبيعة الهيئة التركيبية للآية الكريمة، في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[1] فهذه الصيغة من الصيغ الموضوعة في اللغة العربية للدلالة على الحصر[2]، باعتبار ما تدل عليه من الالتصاق والانحصار بالموضوع الذي يتم له الحمل، وعند مراجعة الآيات القرآنية نلحظ هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿**فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾[4] حيث جاء التعبير بصيغة الحصر، الأمر الذي يدلّ على انحصار هذا النوع من الأسماء بالله سبحانه وتعالى.

---

(١) الأعراف:١٨٠.

(٢) هناك بحث في اللام أهي للقصر أو للعهد.

(٣) الإسراء:١١٠.

(٤) طه:٨.

الجهة الثالثة: الاستفادات العامة

نتناول في هذه الجهة بعض الاستفادات المهمة من آيات المقطع الشريف.

الاستفادة الأولى: سبل الفوز

إذا أردنا جمع الآيات الثلاثة الأولى الشريفة بعضها إلى بعض، نخرج بصورة تشكّلها أمور ثلاث:

الأول: أن القرآن الكريم أمر الإنسان أن يعمل صالحاً، وأن يقدّم من خلاله لغده، حيث سيترتب على عمله الصالح ذلك الثواب الذي أعدّه الله تعالى لعباده، وعليه في نفس الوقت أن ينظر في عمله، وأن يحاسب نفسه فيما قدمه من عمل.

الثاني: أن أفضل طريق للمحاسبة، ولتقديم العمل الصالح الذي أمر به الإسلام، هو أن لا ينسى الإنسان ربه تبارك وتعالى الذي يستتبع نسيان نفسه، فعلى الإنسان أن يذكر الله، ويذكر نفسه، ويذكر عمله، ويراقب الحدود التي تحدّه، وهي الأحكام الشرعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى للإنسان.

الثالث: أن من شأن الإنسان تقديم العمل الصالح، وذكر الله عز وجل وعدم نسيان نفسه كي يكون فائزاً من أصحاب الجنة، وبذلك لا يستوي مع أصحاب النار، ولا مع الفاسقين، ولا مع أصحاب الأعمال الشريرة، وفي نفس الوقت الذي يكون فيه فائزاً نائلاً لمرامه محققاً لآماله، يصير ناجياً مما كان يحذر ويخاف، وفق ما تقدم من المعنى اللغوي للفوز.

الاستفادة الثانية: تقسيمات الأسماء الحسنى

ذكر المحققون أن الأسماء الحسنى التي يتصف بها الله تعالى يمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: الثبوتية، وهي الصفات الملاحظ فيها الجانب الإيجابي الثابت في الذات الإلهية، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن صفات الله تعالى عين ذاته، من قبيل الحياة والملك.

القسم الثاني: السلبية، وهي الصفات التي أخذ فيها الجانب السلبي، بمعنى نفي النقص والعيب عن الله سبحانه وتعالى، وتنزيهه من كل النقائص والعيوب، كما في السبّوح والقدوس، حيث إن معنى قدوس، منزّه عن العيوب والشوائب، وهكذا سبّوح، وبالتالي تسمى أسماء سلبية، فهي صفات وأسماء حسنى، ولكن أخذ فيها جانب تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العيوب والنواقص.

وهناك تقسيم آخر لهذه الصفات، فتارة يقصر النظر على الذات، فلا يؤخذ فيها شيء زائد عنها، وتسمى بالصفات الذاتية من قبيل الحياة والعلم؛ لأن علمه وحياته عين ذاته.

وتارة تنتزع من الأفعال الإلهية، أي من أشياء خارجة عن الذات الإلهية، وتسمى بالصفات الفعلية، من قبيل الخالق؛ فإنه وصف أخذ فيه وجود مخلوق، ومن قبيل الرازق فقد أخذ فيه وجود المرزوق، وهكذا الصفات الأخرى المنتزعة من فعل إلهي يتعلق بما هو خارج عن الذات الإلهية.

الاستفادة الثالثة: الاسم الأعظم

تردد في الأحاديث الشريفة أن هناك اسماً لله سبحانه وتعالى، بين الأسماء الحسنى التي قد ورد منها في القرآن الكريم مئة وسبعة وعشرين اسماً، وذكرت الروايات الكثيرة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بأنها تسع وتسعين اسماً[1]، عندما يذكر الاسم الأعظم في الروايات الشريفة يذكر بأن

---

(١) هناك روايات عديدة تفيد ذلك، منها:

١ــ روي عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن لله تبارك و تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة، وهي: الله، الإله، الواحد...**)). التوحيد: ١٩٤، ح٨.

٢ــ عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: ((**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لله عز وجل تسعة وتسعون اسما، من دعا الله بها استجاب له، ومن أحصاها دخل الجنة**)). التوحيد: ١٩٥، ح٩.

٣ــ عن أبي نعيم بإسناده، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: ((**سألت أبي جعفر بن محمد الصادق، عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن، ففي الفاتحة خمسة أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمان يا رحيم، يا مالك، وفي البقرة، ثلاثة وثلاثون اسما هم: يا محيط يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا تواب، يا بصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي يا رؤوف، يا بديع، يا شاكر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حي يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حليم، يا إله، يا قريب، يا مجيب يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير. وفي آل عمران: يا وهاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا منعم، يا متفضل. وفي النساء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير. وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان. وفي الأعراف: يا محيي يا مميت. وفي الأنفال: يا نعم المولى، ويا نعم النصير. وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد يا ودود، يا فعالا لما يريد. وفي الرعد: يا كبير، يا متعال. وفي إبراهيم: يا منان، يا وارث. وفي الحجر: يا خلاق. وفي مريم: يا فرد. وفي طه: يا غفار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حق، يا مبين. وفي الفرقان: يا هادي. وفي سبأ: يا فتاح. وفي الزمر: ياعالم. وفي غافر: يا غافر، يا قابل التوب، يا ذا الطول، يا رفيع، وفي الذاريات: يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين. وفي الطور: يا بر. وفي اقتربت: يا مقتدر، يا مليك. وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا رب المشرقين، ورب المغربين، يا باقي، يا معين. وفي الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وفي الحشر: يا ملك يا قدوس، يا سلام يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصور. وفي البروج: يا مبدي، يا معيد. وفي**

⇦

له تأثير عظيم في الكون، بحيث تخضع له الموجودات بشكل كامل، من هنا يطرح التساؤل التالي: هل الاسم الأعظم هو مجرد لفظ معين مركب من حروف معينة، أو صوت ينطق به الأنبياء والأولياء المقربون لله تعالى؟

في معرض الجواب ذكر وجهان:

الأول: ما دلت عليه الروايات، من أن الاسم الأعظم هو لفظ مشخص له تأثير عظيم في هذا الكون، فقد ورد أن آصف بن برخيا استخدم هذا الاسم في نقل عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام[١] وأن هذا الاسم له تأثير كبير[٢]، وبعض الروايات الواردة في فضل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تقول: بأن بسم الله الرحمن الرحيم هي أقرب الأسماء إلى الاسم الأعظم[٣] أو قربها من الاسم الأعظم كقرب بياض العين إلى سوادها[٤]،

الفجر: يا وتر. وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد)). الدر المنثور٣: ١٤٨ــ١٤٩.

(١) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: **((إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا، وحرف واحد عند الله تعالى، استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))**. الكافي١: ٢٣٠،ح١.

(٢) وفي كلام لأمير المؤمنين عليه السلام مع رجل: **((ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه اسم الله الأكبر الأعظم الأكرم الذي يجيب به من دعاه، ويعطي به من سأله، ويفرج به الهم، ويكشف به الكرب، ويذهب به الغم، ويبرئ به السقم، ويجبر به الكسير، ويغني به الفقير، ويقضي به الدين ويرد به العين، ويغفر به الذنوب، ويستر به العيوب... إلى آخر ما ذكره عليه السلام في فضله))**. بحار الأنوار ٤١: ٢٢٧.

(٣) عن معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: **((﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسم الله الأكبر. أو قال: الأعظم))**. بحار الانوار ٩٠: ٢٢٣.

(٤) محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام أنه قال: **((بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين إلى سوادها))**. وسائل الشيعة٤: ٧٤٧، ح١١.

وبالتالي يتبين أن الاسم الأعظم عبارة عن صيغة لفظية معينة[١].

الثاني: ما ذكره العلامة الطباطبائي من أنّ الاسم الأعظم ليس مجرد اللفظ، واستدل على ذلك: بأن الاسم الأعظم هو هذه الأسماء الحسنى، والتي لابد أن يدعو الإنسان بها، ولكل اسم تأثير على الكون بلحاظ مضمونه، وبلحاظ ما يتعلق به من صفة يتصف الله سبحانه وتعالى بها، والمضمون عندما يؤتى به بنية خالصة، وبتوحيد خالص لله سبحانه وتعالى، واللجوء له دون غيره مع توفير بقية الشروط، سيكون له تأثير على الكون، باعتبار أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون، وبالتالي فيكون التأثير بلحاظ هذه الصفة التي تمثل بعداً من أبعاد الذات الإلهية[٢].

---

(١) فقد ورد في الروايات ما فيه دلالة على ذلك:

ورد عن الرسول الأعظمﷺ أنه قال: ((**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم ۞ اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾**)). سنن الترمذي٥: ١٧٩.

وعنهﷺ: ((**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه**)). بحار الأنوار٩٠: ٢٢٤.

وعنه ﷺ: ((**هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى الدعوة التي دعا بها يونس، حيث ناداه في الظلمات الثلاث: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**)). المستدرك١: ٥٠٦.

وعنهﷺ: ((**اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر سورة الحشر**)). بحار الانوار٩٠: ٢٢٤.

(٢) ذكر العلامة الطباطبائيرحمه الله: ((إن التأثير الحقيقي يدور مدار وجود الأشياء في قوته وضعفه والمسانخة بين المؤثر والمتأثر، والاسم اللفظي إذا اعتبرنا من جهة خصوص لفظه كان مجموعة أصوات مسموعة هي من الكيفيات العرضية، وإذا اعتبر من جهة معناه المتصور كان صورة ذهنية لا أثر لها من حيث نفسها في شيء البتة، ومن المستحيل أن يكون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صورة خيالية نصورها في ⇦

ذهننا بحيث يقهر بوجوده وجود كل شيء، ويتصرف فيما نريده على ما نريده فيقلب السماء أرضا والأرض سماء ويحول الدنيا إلى الآخرة وبالعكس وهكذا، وهو في نفسه معلول لإرادتنا. والأسماء الإلهية واسمه الأعظم خاصة، وإن كانت مؤثرة في الكون ووسائط وأسبابا لنزول الفيض من الذات المتعالية في هذا العالم المشهود لكنها إنما تؤثر بحقائقها لا بالألفاظ الدالة في لغة كذا عليها، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصورة في الأذهان ومعنى ذلك أن الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكل شيء بما له من الصفة الكريمة المناسبة له التي يحويها الاسم المناسب، لا تأثير اللفظ أو صورة مفهومة في الذهن أو حقيقة أخرى غير الذات المتعالية. إلا أن الله سبحانه وعد إجابة دعوة من دعاه كما في قوله: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ البقرة: ١٨٦، وهذا يتوقف على دعاء وطلب حقيقي، وأن يكون الدعاء والطلب منه تعالى لا من غيره فمن انقطع عن كل سبب واتصل بربه لحاجة من حوائجه فقد اتصل بحقيقة الاسم المناسب لحاجته فيؤثر الاسم بحقيقته ويستجاب له، وذلك حقيقة الدعاء بالاسم فعلى حسب حال الاسم الذي انقطع إليه الداعي يكون حال التأثير خصوصا وعموما، ولو كان هذا الاسم هو الاسم الأعظم انقاد لحقيقته كل شيء واستجيب للداعي به دعاؤه على الإطلاق. وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الروايات والأدعية في هذا الباب دون الاسم اللفظي أو مفهومه. ومعنى تعليمه تعالى نبيا من أنبيائه أو عبدا من عباده اسما من أسمائه أو شيئا من الاسم الأعظم، هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه ذلك في دعائه ومسألته، فإن كان هناك اسم لفظي وله معنى مفهوم؛ فإنما ذلك لأجل أن الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ)). تفسير الميزان ٨: ٣٥٥ـ٣٥٦.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة والروايات

فهرس المصادر

المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

﴿أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ....﴾ ١٧٠

﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ١٢٤

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ.﴾ ٤٥

﴿إِذَا جَاء نَصرُ اللّه وَالْفَتْحُ....﴾ ١٠٥

﴿أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ١٣١

﴿أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُوا....﴾ ٥٢

﴿أَشِحّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ....﴾ ٨٢

﴿أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ....﴾ ١٤٢

﴿أَصْحَابُ الْجَنّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ....﴾ ١٤٣

﴿إِلّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ....﴾ ١١٢

﴿الّذِينَ اتّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ....﴾ ١٥١

﴿الّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا....﴾ ١٤٢

﴿الّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ....﴾ ١١٥

﴿اللّهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ١٦٤

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ ....﴾ ١٢١،١٢٣،١٣٠

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ....﴾ ٢٣

﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللّهَ يُسَبّحُ لَهُ مَنْ فِي السّمَاوَاتِ﴾ ٣٧

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مّن ....﴾ ١٥٠

﴿إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ....﴾ ١٤٣

﴿إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ....﴾ ٢٠

﴿إِنّ الّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ...﴾ ٤٧

﴿إِنّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ....﴾ ١٢٤

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً....﴾ ١٤٥
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا....﴾ ١٤٢
﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ١١٢
﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ....﴾ ١٢٣
﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ ١٢٩
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٦٨
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ..﴾ ٣٧
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ....﴾ ٥٢
﴿دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ....﴾ ٧٥،٩٤،٩٩
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ....﴾ ٤٥
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ....﴾ ١١٦
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا....﴾ ١٠٥،١١٥،١١٣
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ....﴾ ١١٦
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ....﴾ ٢٢، ٢٧،٣٧
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا....﴾ ٤٤
﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ....﴾ ١٠٦
﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ....﴾ ٦٩
﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا....﴾ ٤٢
﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ....﴾ ٢١
﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ....﴾ ٤٢
﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ....﴾ ١١١
﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا....﴾ ١٤٢
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ....﴾ ١٥٠

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ....﴾ ١٣٤
﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ....﴾ ٣٢
﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ....﴾ ٤٤
﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ....﴾ ٦٦،٩٥
﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ....﴾ ١٦١
﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ....﴾ ٦٩
﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ....﴾ ٦٥
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا....﴾ ٥٣
﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ....﴾ ٢١
﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا....﴾ ١٢٤
﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا....﴾ ١٣٢
﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً....﴾ ١٢٣
﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ....﴾ ١٣٣، ١٣٥
﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ....﴾ ١٢٥،١٢٨
﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ....﴾ ١٢٧
﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ....﴾ ٤٤
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ....﴾ ١٦٩
﴿لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ....﴾ ١٢٤
﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ....﴾ ٥٧
﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ....﴾ ١٥٦
﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ﴾ ١٢٩، ١٣٠
﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً....﴾ ١٢٢
﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ....﴾ ٥٢

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ....﴾ ١٢٢،١٢٨،١٢٩
﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً﴾ ١٤٣
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا....﴾ ١٠٠،١٠١
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ....﴾ ٨٦
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ....﴾ ١٥٨،١٥٩
﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ....﴾ ٢٢،٨٨،٩٠،١٠٧
﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا....﴾ ٢٩
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً....﴾ ٣٨
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً....﴾ ٤٨،٥٦
﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ....﴾ ٣٤
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ....﴾ ١٠١، ١٣١
﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا....﴾ ٤٤
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا....﴾ ١٨، ٢٧،٣٩
﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ ١١
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ....﴾ ٨٥
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ....﴾ ٣٩
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ....﴾ ١٦١
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ.﴾ ١٦١
﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ....﴾ ٦٩
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ....﴾ ٩٩، ١٠٠
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ....﴾ ١١٠
﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى....﴾ ٦٩
﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ....﴾ ٨٢

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ ٥١
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ....﴾ ٨٥
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ....﴾ ٧١، ٨٧
﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ....﴾ ١٠٥
﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ....﴾ ١١١
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ....﴾ ١٠٢
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ....﴾ ٧٩
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ....﴾ ١٠٤
﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ....﴾ ٣٠، ٣١
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ....﴾ ١٢٦
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٢٦
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ ....﴾ ١٠٧
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ....﴾ ١٠٢
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ....﴾ ١٦٩
﴿وَإِن اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ....﴾ ١١١
﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ ١٢٦
﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ....﴾ ٨٥
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ....﴾ ٩٩
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ....﴾ ١٥٩
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ....﴾ ٧٦
﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ....﴾ ٣٠
﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ....﴾ ٤١
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ....﴾ ١٠١

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا....﴾ ١٠٦
﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا....﴾ ٨٢،١٠٦
﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا....﴾ ١١٣
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ....﴾ ١٤١، ١٥٠
﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ ١٢٦
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ....﴾ ٧٠
﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً....﴾ ٧٩، ٨٠
﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً....﴾ ١٠٣
﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً....﴾ ١١٥
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ....﴾ ١٤١
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ....﴾ ٨٥
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا....﴾ ١٦١، ١٦٤
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ....﴾ ٥٣
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ....﴾ ٨٦
﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ....﴾ ٤٥
﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ....﴾ ٥٥
﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ....﴾ ٥٢
﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ....﴾ ٣٢،٤٣،٤٨،٥٠
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ....﴾ ٩٧،٩٩
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ....﴾ ٧٦،٧٧
﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ....﴾ ٦٣، ٦٦،٦٨،٦٥،٨٣،٦٩
﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ....﴾ ٤٦
﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ....﴾ ٣٣

فهرس الأحاديث الشريفة والروايات

((اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب..)) ١٦٩
((اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر سورة الحشر..)) ١٦٩
((اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ..)) ١٦٩
((أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: ..)) ٥٤
((أعطيت مكان التوراة السبع الطول،..)) ٣٥
((ألا أعلمك دعاء علمنيه رسول الله ﷺ، وفيه اسم الله الأكبر..)) ١٦٨
((الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل..)) ٩٣
((إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا..)) ١٦٨
((إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه..)) ٩٨
((أن ترى ما في يدك شرفاً..)) ١١٧
((إن شئتم قسمتم المهاجرين من أموالكم..)) ١١٦
((أنه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود..)) ١٦
((بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله..)) ١٦٨
((سألت أبا الحسن عليه السلام عن السائل..)) ٧٧
((سألت أبي جعفر بن محمد الصادق، عن الأسماء ..)) ١٦٧
((سألناه عن الرجل لا يكون عنده إلا قوت يومه،..)) ٧٧
((سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها)) ٧٢
((سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية..)) ٧٢
((صالح بنو النضير رسول الله ﷺ..)) ١٩
((قال رسول الله ﷺ: إن لله تبارك و تعالى تسعة وتسعين اسما..)) ١٦٧
((قال رسول الله ﷺ: من قرأ آخر سورة الحشر..)) ١٥٩

((قال لي: يا جابر! قلت: لبيك يا بن رسول الله. ..)) ١٥٨
((كنّا عند النبيﷺ فأقبل علي بن أبي طالب..)) ١٤٣
((لقد حكمت بحكم الله..)) ٥٠
((من قال بكرة أعوذ بالله السميع العليم..)) ١٣
((من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار..)) ١٥٩
((من قرأ سورة الحشر لم يبق..)) ١٣
((من قرأ هذه السورة في ليلة الجمعة،..)) ١٣
((من قرأ هذه السورة..)) ١٤
((هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي..)) ١٦٩
((والله عني بذي القربى،..)) ٩٣
((وأما أرواح الكفار فتجتمع في دار الدنيا..)) ٢٨
((وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي..)) ٧٢
((ومن قرأ سورة الحشر، لم يبق جنة ولا نار،..)) ١٣

فهرس المصادر

القرآن الكريم، كتاب الله العزيز.

أ) التفسير وعلوم القرآن:

ـ الأصفى في تفسير القرآن، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٣٧٦ش، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.

ـ البرهان، العلامة البحراني،

ـ التبيان، الشيخ الطوسي، الطبعة الأولى رمضان المبارك ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، طبع عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م، نشر مكتبة مصطفى البأبي الحلبي وأولاده بمصر.

ـ الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

ـ أضواء البيان، الشنقيطي، طبع عام١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت.

ـ الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، طبع ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ تفسير القمي، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ تفسير جوامع الجامع، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي،التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة.

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الأولى١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

ـ **فقه القرآن، قطب الدين أبي الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي، الطبعة**

الثانية ١٤٠٥هـ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
ـ تفسير غريب القرآن، الشيخ فخر الدين الطريحي، زاهدي، قم المقدسة.
ـ تفسير الصافي، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، الطبعة الثانية رمضان المبارك ١٤١٦هـ، مؤسسة الهادي، قم المقدسة.
ـ كتاب تفسير نور الثقلين،المحدث الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ ـ ١٣٧٠ش، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.
ـ تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، الطبعة الأولى١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، دار الفكر، بيروت.
ـ تفسير الآلوسي، الآلوسي.
ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار المعرفة، بيروت.
ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبع عام١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت.
ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي،الطبعة الثالثة.
ـ تفسير الثعلبي، الثعلبي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ـ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الجياني، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ التسهيل لعلوم التنزيل، أبي عبد الله محمد بن أحمد الكلبي، الطبعة

الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الكتاب العربي، لبنان.
- تفسير الجلالين، العلامة جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
- تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، الامام عبد الرحمن أبي زيد الثعالبي المالكي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير العز بن عبد السلام، عبد العزيز الدمشقي الشافعي، الطبعة الأولى ١٣١٦هـ - ١٩٩٦م، دار ابن حزم، بيروت.
- البرهان في علوم القرآن، الإمام محمد بن عبد الله الزركشي، الطبعة الأولى١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية.
- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
- التمهيد، ابن عبد البر، طبع ١٣٨٧هـ ، ووزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- أحكام القرآن، ابن العربي، دار الفكر، لبنان.
- تفسير السمعاني، أبي المظفر منصوربن محمد السمعاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الوطن، السعودية، الرياض.
- زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي البغدادي، الطبعة الأولى جمادي الأولى١٤٠٧هـ - كانون الثاني١٩٨٧م، دار الفكر، بيروت.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، لبنان.

ـ تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي.

ب) كتب التاريخ والرواية:

ـ ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ابن بابويه القمي المعروف بالصدوق، الطبعة الثانية ١٣٦٨ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت.

ـ جامع الأخبار،

ـ معجم البلدان، أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، طبع١٣٩٩ـ ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ تحف العقول عن آل الرسول، أبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ـ ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، المحدث الميرزا حسين النوري الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت.

ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، المحدث محمد بن الحسن الحر العاملي، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ كتاب الخصال، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، طبع ١٨ ذي القعدة ١٤٠٣هـ ـ ١٣٦٢ش، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

ـ كتاب السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، الشيخ أبي جعفر محمد بن منصور بن إدريس الحلي، الطبعة الثانية١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة

لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
ـ الامالي، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، مؤسسة البعثة، قم المقدسة.
ـ التوحيد، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
ـ مستدرك الصحيحين.
ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، العلامة علي المتقي بن حسام الدين الهندي، طبع١٤٠٩هـ ـ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، الشيخ أب الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت.
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد بن عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م، دار المعرفة، بيروت.
ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، الطبعة الأولى١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، عبيد اللهى بن أحمد المعروف بالحسكاني، الطبعة الأولى١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
ـ سنن الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الفكر، بيروت.

ـ المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، الطبعة الثانية ربيع الثاني ١٤١٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
ـ الأصول من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، الطبعة الخامسة ١٣٦٣ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.
ـ المواقف، الإيجي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، دار الجيل، بيروت.
ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المحدث إسماعيل بن محمد العجلوني، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـ تاريخ مدينة دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، طبع ١٤١٥هـ ، دار الفكر، بيروت.
ـ دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، طبع ١٣٨٣ـ ١٩٦٣م، دار المعارف، القاهرة.
ـ معاني الأخبار، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، طبع ١٣٧٩ـ ١٣٣٨ش، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
ـ تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الثالثة ١٣٦٤ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.
ـ علل الشرائع، أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، طبع ١٣٨٥ـ ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ج) المعاجم اللغوية:

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، الطبعة الرابعة١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت.

ـ القاموس المحيط، الفيروزآبادي.

ـ النهاية في غريب القرآن، ابن الأثير، الطبعة الرابعة ١٣٦٤ش، مؤسسة اسماعيليان، قم المقدسة.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، أبي فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، طبع عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، دار الفكر، بيروت.

ـ كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ مؤسسة دار الهجرة، إيران.

ـ لسان العرب، أبي الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصري، طبع محرم ١٤٠٥هـ، أدب الحوزة، قم المقدسة.

ـ مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، الطبعة الثانية١٤٠٨هـ ـ ١٣٦٧ش، مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

ـ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،طبع ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.

ـ مفردات غريب القرآن، أبي القاسم بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، الطبعة الثانية١٤٠٤هـ، دفتر نشر الكتاب.

المحتويات

المقدّمة ٧
لمحة سريعة حول السورة ٩
سبب التسمية ١١
فضل السورة وآثارها ١٢
سبب النزول ١٤
علاقة الحشر بالبيّنة والمجادلة ١٩
تقسيم البحث ٢٢
المقطع الأول: تداعيات نقض العهد ٢٥
الجهة الأولى: بحث المفردات ٢٧
الجهة الثانية: البحث التفسيري ٣٥
الآية الأولى: أنحاء التسبيح وأبعاده ٣٥
الآية الثانية: التدخل الإلهي ٣٩
الآية الثالثة: السنّة الإلهية عند نقض العهد ٤٣
الآية الرابعة: عاقبة المشاقّة ٤٥
تقييم المشاقة وآثارها ٤٧
الآية الخامسة: الأذن الإلهي بالقطع ٤٨
الجهة الثالثة: استفادات عامة ٤٩
الاستفادة الأولى: فلسفة الطرد وخلفياته ٤٩
المقارنة بين الإخراج والقتل ٥١
الاستفادة الثانية: دور المعنويات في المعركة ٥٢

الاستفادة الثالثة: العقاب الأشد ٥٤
الاستفادة الرابعة: الحكم الإلهي بالقطع..... ٥٦
خلفية الحكم الشرعي ٥٧
مصلحة القطع ٥٨
ملاحظة أخيرة ٦٠
المقطع الثاني: الفيء..... ٦١
الجهة الأولى: بحث المفردات..... ٦٣
الجهة الثانية: البحث التفسيري ٨٢
الآية الأولى: ملكية الدولة ٨٣
الآية الثانية: الفيء بين المصرف والعلة..... ٨٨
الآية الثالثة: حقيقة المهاجر..... ١٠٠
الآية الرابعة: الأنصار ١٠٢
تتميم ١٠٧
الجهة الثالثة: استفادات عامة ١٠٩
الاستفادة الأولى: التقوى السياسية ١٠٩
الاستفادة الثانية: النصرة في المفهوم القرآني..... ١١٠
الاستفادة الثالثة: الأبعاد السياسية لحركة المجتمع الإسلامي ١١٢
الاستفادة الرابعة: الأبعاد الأخلاقية لحركة المجتمع الإسلامي..... ١١٤
المقطع الثالث: المنافقون..الموقف والخلفيات ١١٩
الجهة الأولى: بحث المفردات..... ١٢٢
الجهة الثانية: البحث التفسيري ١٢٣
الآية الأولى: الموقف الزائف ١٢٣
الآية الثانية: شهادة قرآنية ١٢٧

الآية الثالثة: منطلق الموقف ١٢٨
الآية الرابعة: القواسم المشتركة ١٢٩
الآية الخامسة: عاقبة المواجهة ١٣٢
الآية السادسة: الخلق الشيطاني ١٣٣
الآية السابعة: جزاء الظلم ١٣٤
خاتمة البحث ١٣٥
المقطع الرابع: تأثير القرآن الكريم في النفوس ١٣٩
الجهة الأولى: بحث المفردات ١٤١
الجهة الثانية: البحث التفسيري ١٤٤
الآية الأولى: محاسبة النفس بين تقويين ١٤٤
الآية الثانية: أثر نسيان الله ١٥٠
الآية الثالثة: الفائز يوم القيامة ١٥٦
الآية الرابعة: عظمة القرآن وتأثيره ١٥٨
وجه الارتباط ١٦٠
الآية الخامسة والسادسة والسابعة: أسماء الله الحسنى ١٦١
الجهة الثالثة: الاستفادات العامة ١٦٥
الاستفادة الأولى: سبل الفوز ١٦٥
الاستفادة الثانية: تقسيمات الأسماء الحسنى ١٦٥
الاستفادة الثالثة: الاسم الأعظم ١٦٦
الفهارس العامة ١٧١

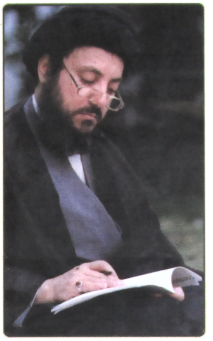

عندما يعيش الإنسان حالة الخوف والرعب سينهزم نفسياً ، وعندئذٍ يفقد إرادته وقدرته على الصمود والصبر والمواصلة ، وتصبح كل إمكاناته المادية التي يملكها غير قادرة على أداء وظيفتها ودورها في المعركة؛ لأن الإمكانات المادية تابعة لإرادة الإنسان ووضعه النفسي والروحي ، فعندما ينهزم في نفسه وروحه ومعنوياته يفقد إرادته ، وعندها تعجز تلك الإمكانات المادية عن أداء دورها ، وتكون الهزيمة هي النتيجة.

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم